جامعة محمد خيضر- بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في البلاغة العربية

لطلبة السنة أولى ماستر
تخصص: لسانيات تطبيقية
(السداسي الثاني)

إعداد الدكتور:
حمدي منصور جودي

السنة الجامعية: 2023/2022

مقدمة:

تعدّ البلاغة بما تحويه من مباحث من أهم علوم اللغة العربية، وقد زادها أهمية واهتماما نزول القرآن الكريم بهذه اللغة الشريفة العفيفة التي تحدّى بها جهابذة البيان والخطابة حينئذ، فنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، أعجز كل خطيب مفوّه، وكل شاعر مصقع، على أن يأتي بمثله أو أقل من ذلك إن استطاع سبيلا، ولو اجتمعت له الإنس والجن لتلك الغاية، في صورة تحدٍّ باقٍ إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. لقد نشأ العرب منذ القدم على تذوق المواطن الجمالية في كلامهم وأشعارهم، وعكفوا على نقدها، والتّنبّه إلى جيّدها ورديئها، وهذا ما كان إرهاصا لظهور النقد الذي ساهم في وضع قواعد علوم البلاغة العربية بشكل كبير.

ومن هذا المنطلق كان لزاما علينا في عصرنا الحالي الإلمام بعلوم البلاغة العربية وبأساسياتها النقدية، وتزداد حاجاتنا إليها أكثر في الميادين التعليمية للوقوف على دقائق الكلام والتعبير وفهمهما في مختلف منابع العربية، بدءًا بالقرآن الكريم، ثم الحديث النبوي الشريف، ثم الشعر العربي قديمه وحديثه، ثم النثر العربي بشتى فنونه. فأضحت الضرورة ملحة جدا لوضع منهج تعليمي مبسط يسهل تعليم فنون البلاغة العربية، بعيدا عن التكلّف والتعقيد، لأنهما سبيلان إلى كلل الأذهان، ونفور النفس من التعلّم، وفتور الهمم لتنمية الملكة البلاغية اللازمة والواجب توفرها في طالب العلم.

وسعيا لتذليل الصعاب ارتأينا أن نقدم سلسلة من المحاضرات في البلاغة العربية، موجهة لطلبة الآداب واللغة العربية عامة، وإلى طلبة السنة أولى ماستر -تخصص لسانيات تطبيقية- بدرجة خاصة، هدفها تمكين الطلبة من علوم البلاغة العربية تمكين اكتساب ودربة، وقدرة على توظيفها في دراسة الظواهر اللغوية والبلاغية والنقدية مع مختلف النصوص والخطابات خلال مسارهم الدراسي. بالإضافة إلى تنمية أذواقهم الفنية والجمالية، وإثراء ملكتهم اللغوية والبلاغية من خلال ما سيتم تقديمه من أمثلة تطبيقية تشكل مرجعا في ذلك.

وقد تم في هذا الصدد مراعاة البرنامج المقرر لذلك المستوى التعليمي، لهذا احتوت المحاضرات جانبا نظريا يبرز علاقة البلاغة بعلم الدلالة من جهة البيان، وعلاقتها بالأسلوبية وعلم الأسلوب، ثم علاقتها بالتداولية والحجاج. كما احتوت المحاضرات جانبا تطبيقيا -وهو الأكبر- ارتبط بعلمي البيان والبديع، معتمدين فيه على التبسيط والتسهيل أثناء الشرح أو أثناء التمثيل، حتى يصبح الموضوع حاضرا في ذهن الطلبة كلما استدعى الأمر ذلك. ولا بد أن ننوّه في الشأن إلى اعتماد كثرة الأمثلة حسب مقتضى الشرح والتمثيل، والغاية هي تكثيف المعلومة

والإحاطة بكل دقائقها، مع الانتقاء المقصود، والاختيار الممنهج لهذه الأمثلة، إذ تم التركيز في انتقائها على القرآن الكريم، ثم الحديث النبوي الشريف، ثم الشعر العربي قديمه وحديثه؛ لأن هذه المصادر تمثل المعين الحقيقي الذي تأسست عليه علوم البلاغة، وهي الوعاء الذي حفظ صورة تراكيب اللغة العربية، مع ما تقدمه من ذوق فني وجمالي عند التعامل معها، وما تحمله من أحكام وقيم أدبية ولغوية وتربوية وأخلاقية تمت بصلة مباشرة بالذوق العام وبمناحي الحياة.

وتيسيرا للتعامل مع الأمثلة المعتمدة في هذه المحاضرات فقد تم اعتماد منهج موحد بين صور البيان، وكذا محسنات البديع، حين التعامل معها شرحا واستخراجا، ليصبح هذا المنهج طريقة إجابة لمختلف القضايا المتعلقة بمباحث البيان والبديع، وبخاصة في مراحل التقييم المستمر للمادة في حصص الأعمال الموجهة، أو عند إجراء اختبارات نهاية السداسي. فالملاحظ أن غالبية الطلبة في مرحلتي الليسانس أو الماستر يتعاملون مع صور البيان ومحسنات البديع دون التركيز على ذكر كل الجزئيات والمعطيات الداخلة في إنشائها، ولا يكادون يتفقون على طريقة إجابة موحدة وواضحة تلائم الإجابة النموذجية المقترحة، وعلى هذا الأساس عمدنا إلى بناء مخطط خاص بكل صورة من صور البيان أو محسن من محسنات البديع أثناء الدراسة والتحديد، وفق نمط يسهل حفظه وتذكره كلما استدعى الأمر ذلك.

ولأجل تحقيق هذه الغايات اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع، تم انتقاؤها عن قصد، لتُسهِّل لنا المبتغى، وتصبح مصدرا بين يدي الطلبة يمكّنهم من العودة إليه للاطلاع والاستزادة. فقد ركزنا في أخذ شواهد القرآن الكريم على المصحف الشريف، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية. إلى جانب شواهد الحديث النبوي الشريف التي أخذناها من مضانها من كتب الصحاح والمسانيد. وما يتعلق بشواهد الشعر فقد اعتمدنا على انتقائها من مصادر الأدب واللغة ودواوين الشعر.

وفي الختام نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا إلى ما فيه الصالح العام، وأن يسهّل على طلبتنا مسارهم الدراسي، وأن يجعل هذا العمل ميسور المبتغى، مدرك الغاية، سهل الأخذ. وبالله التوفيق وهو من وراء القصد.

المحاضرة الأولى: قضايا البيان والدلالة في البلاغة العربية

محاور المحاضرة:

1- مفهوم علم البيان.

2- مفهوم علم الدلالة.

3- بين علم البيان وعلم الدلالة.

تفصيل:

1- مفهوم علم البيان:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب: "والبَيانُ: ما بُيِّنَ بِهِ الشَّيْءُ مِنَ الدَّلالَةِ وغَيْرِها. وبانَ الشَّيْءُ بَياناً: اتَّضَحَ (...) والبَيانُ: الفَصاحَةُ واللَّسَنُ، وكَلامٌ بَيِّنٌ فَصيحٌ. والبَيانُ: الإفْصاحُ مَعَ ذَكاءٍ. والبَيِّنُ مِنَ الرِّجالِ: الفَصيحُ"[1]. وقد ورد لفظ البيان في مواضع مختلفة في القرآن الكريم، منها: قول الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ ۝1 عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝2 خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝3 عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝4**﴾ (الرحمان)، فالبيان هنا مقصود به الكلام والإفصاح. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝17 فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝18 ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝19**﴾ (القيامة)، فمعنى بيانه هنا: توضيحه وتفهيمه.

وعلى هذا فالبيان لغة يحمل في معانيه: الدلالة، والوضوح، والفصاحة، وإظهار الشيء.

ب/ اصطلاحا: يعرّف البلاغيون البيان بأنه: "أصول وقواعد يُعرَفُ بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة العقلية على ذلك المعنى نفسه"[2]، كما يُعرّف أيضا بأنه: "علم يُبحث فيه عن التعبير عن مقصود واحد بأساليب متعددة، وطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[3]. ويُردّ فضل وضع هذا العلم وتأسيسه لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ) في كتابه (مجاز القرآن)، ثم تبعه بعد ذلك كثيرون منهم: الجاحظ، وبشر بن المعتمر، والرّماني، وابن رشيق، وأبو هلال العسكري. إلى أن انتهى إلى عبد القاهر الجرجاني الذي "أحكم أساس هذا العلم، وشيّد بناءه، ورتّب قواعده بشكل دقيق"[4]، فتبعه بعد ذلك من جاء بعده. وغاية تدوين هذا العلم هو الوقوف على أسرار كلام العرب منظومه ومنثوره، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة والبلاغة التي يصل بها إلى مراتب عالية في الفهم والإفهام.

ولفظة البيان من أكثر الألفاظ استعمالا عند الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)، يقول الجاحظ: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجُم على

---

1 ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب وآخر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ج1، ص 562 وما بعدها.

2 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار الميسرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 143.

3 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد الأئمة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 118.

4 م ن، ص ن.

محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغتَ الإفهام، وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1]. وبالنظر إلى كلام الجاحظ وإلى استعماله للفظ البيان، فإننا نقف على مفهومين اثنين للبيان هما:

الأول: لفظ البيان تشير إلى التعبير عن معنى من المعاني بلغة ليست بالضرورة لغة الكلام، لكنها تتسع لتشمل مختلف وسائل التعبير الأخرى، ولهذا يكون معنى البيان جامع لكل شيء يقصد به الفهم والإفهام.

الثاني: لفظ البيان يشير إلى بلاغة التعبير بلغة الكلام دون غيرها من وسائل التعبير الأخرى، ولهذا يكون معنى البيان عند خاص بالمدلول اللغوي الذي تجسده بلاغة الكلام؛ أي: المعنى المقصود لذاته من خلال اللفظ المستعمل قصد الإفهام.

إن موضوع علم البيان هو الوقوف على الألفاظ العربية من حيث التشبيه، والمجاز، والكناية؛ إذ تعدّ هذه القضايا من أهم مباحثه؛ "فاللفظ إن عُيِّنَ بإزاء معنى ليدل عليه سُمّيَ موضوعا، والمعنى موضوعا له، والتعيين وضعا"[2]:

فالأول: فهو اللفظ الموضوع الذي لا يُتصرّف فيه عند الاستعمال وهو الحقيقة.

أما الثاني: فهو اللفظ الموضوع الذي يُتصرّف فيه عند الاستعمال، وله وجوه في ذلك:

- إذا كان التصرّف فيه بإسناده إلى غير ما حقّه أن يسند إليه، فهذا مجاز عقلي أو إسناد مجازي.
- إذا كان التصرّف فيه بنقله من معنى إلى معنى آخر مع وجود علاقة وقرينة، فإن منعت هذه القرينة إرادة المعنى الموضوع له (الأصلي) فمجاز بالاستعارة إذا كانت العلاقة مشابهة، ومجاز مرسل إذا كانت العلاقة غير المشابهة. أما إذا لم تمنع القرينة إرادة المعنى الأصلي، فإما تشبيه أو كناية.

2- مفهوم علم الدلالة:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب: "ودَلَّ فُلانٌ: إذا هَدى (...) ودَلَّهُ عَلى الشَّيْءِ يَدُلُّهُ دَلًّا ودَلالَةً فانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إلَيْهِ.. والدَّليلُ: ما يُسْتَدَلُّ بِهِ، والدَّليلُ: الدّالُّ، وقَدْ دَلَّهُ عَلى الطَّرِيقِ يَدُلُّهُ دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً.. والدَّلّالُ: الَّذي يَجْمَعُ بَيْنَ البَيْعَيْنِ، والاسْمُ: الدَّلالَةُ والدِّلالَةُ. والدِّلالَةُ: ما جَعَلْتَهُ للدَّليلِ أو الدَّلّالِ"[3]. فمعاني الدلالة تدور حول: الاهتداء، والتوجيه، والإشارة، وكل ما يستعان به للوصول إلى غاية ما.

ب/ اصطلاحا: مصطلح علم الدلالة يقابله في اللغة الأجنبية مصطلح (Semantics)، وهذا المصطلح في اللغة العربية تعددت أسماؤه؛ فمنها علم الدَّلالَة، وعلم الدِّلالة (بفتح الدّال وكسرها)، ومنها علم المعنى (ولا يجمع على لفظ المعاني حتى لا يلتبس بعلم المعاني في البلاغة)، ومنها السيمانتيك (اللفظ أجنبي وحروفه عربية). وعلم الدلالة في تعريفه العام هو: "دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي

1 الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط02، 1992، ج1، ص 76.

2 السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة المصرية، مصر، ط1، 1999، ص 217.

3 ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص 393 وما بعدها.

يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"[1]، لذا يمكن القول إن موضوع علم الدلالة هو الرمز وما يشير إليه، علما أن الرموز الدّالة قد تكون لغوية أو غير لغوية، إلّا أن اهتمام علم الدلالة ينصب بدرجة حصرية على اللغة وعلى رموزها اللغوية الدّالة بوصفها وسيلة تواصل وأداة قادرة على حمل المعنى. والرموز اللغوية الدالة لا تتألف من المفردات فقط، وإنما هي "أحداث كلامية أو امتدادات نطقية تكوّن جملا، تتحدّد معالمها بسكتات أو وقفات أو نحو ذلك، وعلم المعنى لا يقف فقط عند معاني الكلمات المفردة، لأن الكلمات ما هي إلّا وحدات يبني منها المتكلمون كلامهم"، ولهذا السبب لا يمكن عدّ هذه المفردات المفصولة عن بعضها البعض حدثا كلاميا مستقلا إلّا إذا تجاور وتناسق بعضها مع بعض في سياق تبليغي محدّد، يفترض متكلما وسامعا، ومناسبة معينة. وهو ما يفرض علاقة بين اللفظ والمعنى.

إن العلاقة بين اللفظ والمعنى قد شغلت الكثيرين من اللغويين والبلاغيين واللسانيين وحتى الفلاسفة. وأقدم من أشار إلى هذه العلاقة عثمان أبو الفتح بن جني (ت 392هـ)، إذ ركّز على العلاقة الصوتية والصرفية بين اللفظ ودلالة المعنى، يقول في كتابه (الخصائص) في باب إمساس الألفاظ أشباهَ المعاني: "اعلمْ أنَّ هذا موضعٌ شريفٌ لطيفٌ، وقد نَبَّهَ إليه الخليل وسيبويه، وتَلَقَّتْهُ الجماعةُ بالقَبول له، والاعتراف بصِحَّتِه. قال الخليل: كأنّهم تَوَهَّموا في صَوْتِ الجُنْدُبِ استطالةً ومَدًّا، فقالوا: صَرَّ، وتَوَهَّموا في صوتِ البازي تقطيعا، فقالوا: صَرْصَرَ. وقال سيبويه في المصادرِ التي جاءت على الفَعَلان: إنّها للاضطراب والحركة، نحو: النَّقَزان، والغَلَيان، والغَثَيان. فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال. ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سَمْتِ ما حَدّاه، ومنهاج ما مثَّلاه. وذلك أنّك تجد المصادر الرباعية المُضَعَّفَة تأتي للتكرير، نحو: الزَّعْزَعَة، والقَلْقَلَة، والصَّلْصَلَة، والقَعْقَعَة، والصَّعْصَعَة، والجَرْجَرَة، والقَرْقَرَة. ووجدتُ أيضا (الفَعَلى) في المصادر والصفات، إنما تأتي للسرعة، نحو: البَشَكى، والجَمَزى، والوَلَقى (...) ومن ذلك ما هو أصنع منه، أنّهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب، نحو: استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عمرا، واستصرخ جعفرا. فرُتِّبَتْ في هذا الباب الحروفُ على ترتيب الأفعال"[2]. وبالنظر إلى محتوى ما يطرحه ابن جني في كلامه السابق، نجد أن العلاقة بين اللفظ ودلالة معناه علاقة مقصودة لذاتها، ذلك أن اللفظ يحمل دلالات معينة من خلال مستويات متعددة من شأنها أن تبرز هذا المعنى أو ذاك حين الاستعمال.

وهذا ما جعل علم الدلالة يستعين بنتائج علوم لغوية أخرى تساعده على إظهار المعنى، وهي[3]:

أولا: المستوى الصوتي: فاستعمال أصوات مقصودة لذاتها يؤثر على دلالة المعنى، كحروف التصفير، أو الحروف الحلقية. إلى جانب التنغيم والنَّبرِ، وما يؤديانه من تغيير المعنى في ذهن السامع.

ثانيا: المستوى الصرفي: فلألفاظ العربية أوزان وصيغ تحمل دلالات معينة، تضيف إلى المعنى العام معان فرعية، ومنها مثلا صيغ الفعل المجرد والمزيد (بحرف، بحرفين، بثلاثة أحرف).

---

1 أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص 11.

2 ابن جني، الخصائص، تح: محمد النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (د.ت)، ج 2، ص 152 وما يليها.

3 ينظر: أحمد مختار، علم الدلالة، ص 13 وما يليها.

ثالثا: المستوى النحوي: دراسة وتحديد وظيفية الكلمة داخل الجملة، لأن تغيير الموضع يؤدي إلى تغيّر المعنى.

رابعا: المستوى المعجمي: ويتعلق بالمعنى العام للكلمة انطلاقا من جذرها اللغوي.

خامسا: المستوى التركيبي: تحديد معنى ووظيفة الكلمة من خلال تجاورها مع ما يسبقها أو يلحقها من الكلمات في سياق تعبيري معيّن.

3- بين علم البيان وعلم الدلالة:

إذا نظرنا إلى مفهوم علم البيان نجده مرتبطا بتحديد المعنى، لأنه "أصول وقواعد يُعرَفُ بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة العقلية على ذلك المعنى نفسه"[1]، فغايته بذلك تحديد الدلالة المقصودة. في حين أن علم الدلالة هو " دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"[2]. وبذلك تُعَدُّ الدلالة مجموع الهيئات التركيبية التي تحمل المعنى، والمباحث البيانية من تشبيه ومجاز وكناية هي الطرائق المتنوعة التي يأتي بها المعنى، ومادتها هي دلالة ذلك المعنى، أو مجموع الدلالات التي تنكشف من خلال فنون بيانية جاء بها الاستعمال. ومثال ذلك:

- فلانٌ كريمٌ.
- فُلانٌ كالبحْرِ في عطائه.
- فلانٌ كثيرُ الرّماد.

فالأمثلة السابقة تحمل معنى الكرم، ولكن بوجوه تعبيرية مختلفة؛ المثال الأول حقيقة، والثاني تشبيه، والثالث كناية. فمن خلال البيان يظهر المعنى المقصود وهو الكرم ولكن بتراكيب متنوعة، وهذا معنى أصول وقواعد يُعرَفُ بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض. أما من حيث الدلالة فكل مثال يختلف عن الآخر في مستويات متعددة (المستويات المذكورة سابقا)، والاختلاف بين هذه المستويات أدى إلى اختلاف في معانيها، لأن الدلالة هنا هي مجموع الهيئات التركيبية التي تحمل المعنى.

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 143.

2 أحمد مختار، علم الدلالة، ص 11.

المحاضرة الثانية: التشبيه: أنواعه و أقسامه في البلاغة العربية

محاور المحاضرة:

1- تعريف التشبيه.

2- أركان التشبيه.

3- أنواع التشبيه.

تفصيل:

1- تعريف التشبيه:

أ/ لغة: التشبيه بمعنى التمثيل، وجاء في لسان العرب: "الشِّبْهُ، والشَّبَهُ، والشَّبيهُ: المِثْلُ، والجَمْعُ: أَشْباهٌ، وأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: ماثَلَهُ، وفي المَثَلِ: مَنْ شابَهَ أباهُ فَما ظَلَمَ"[1]. وقال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ (آل عمران: 07).

ب/ اصطلاحا: التشبيه في اصطلاح البلاغيين هو عقد مقاربة ومماثلة بين طرفين أو أكثر، حول صفة أو مجموعة صفات، وهذه المقاربة تكون بوجود واسطة قد تكون أداة أو ما يقوم مقامها، مع وجود غرض من هذه المقاربة والمماثلة. وقد تعدّدت تعاريف التشبيه بين البلاغيين، إلّا أنها تتفق في جوهر المقاربة وفي واسطتها وغرضها، ومن بين التعاريف:

"التشبيه: هو إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة"[2].

"التشبيه: عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر، لاشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة مخصوصة، لغرض من الأغراض"[3].

"التشبيه: بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف ونحوها، ملفوظة أو ملحوظة"[4].

2- أركان التشبيه: بالنظر إلى تعريف التشبيه، يتّضح أنّه قائم على أساسيات تُؤلِّفهُ، وهي ما تُعرف بأركان التشبيه، فمن مفهوم التشبيه: ضرورة وجود عنصرين أو أكثر لعقد المقاربة والمماثلة وهما **طرفا التشبيه**، ووجود واسطة عقد ومماثلة وهي **أداة التشبيه**، إلى جانب صفة (أو مجموع الصفات) المماثلة وهي **وجه الشبه**، وعليه فإن التشبيه يقوم على الأركان الآتية: المُشَبَّهُ والمُشَبَّهُ بِهِ (ويُسَمَّيانِ طَرَفَيْ التشبيه)، وأداةُ التَّشْبيهِ، ووَجْهُ الشَّبَهِ:

---

1 ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب وآخر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ج 7، ص 23.

2 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار الميسرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 144.

3 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد الأئمة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 121.

4 علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 20.

أ/ **المُشَبَّهُ**: وهو "ما يُراد تَشبيهه بغَيره، وهذا هو الركن الأساسي الذي يجيء التشبيه لخدمته"[1]، ولا يمكن الاستغناء عنه في بنية التشبيه، وإلّا تشكَّلت صورة بيانية أخرى غير التشبيه.

ب/ **المُشَبَّهُ بِهِ**: وهو "ما يُراد تشبيه غيره به"[2]، وهو طرف أساسي في التشبيه فلا يمكن الاستغناء عنه في بنية التشبيه، وإلّا تشكَّلت صورة بيانية أخرى غير التشبيه.

ج/ **أداةُ التَّشْبيهِ**: وهو "اللفظ الدّال على التشبيه، الذي يربط المشبه بالمشبه به، سواء كان حرفا أو اسما أو فعلا"[3]، وهذا الركن لا يعدّ أساسيا في بنية التشبيه، إذ يمكن حذفه وهو ما يؤدي إلى تشكل أنواع التشبيه فيما سيأتي. ومن أشهر أدوات التشبيه: الكاف، كأنّ، يُشبِه، يُماثِلُ، شَبيهٌ، مِثْلُ.

د/ **وَجْهُ الشَّبَهِ**: وهو "الوصف الذي قُصِدَ تشريك الطرفين فيه"[4]، وقد يرد هذا الوجه صفة (أو مجموعة من الصفات) أو صورة منتزعة من متعدد، كما يمكن التصرف فيه داخل بنية التشبيه، إذ يمكن حذفه وهو ما يؤدي إلى تشكل أنواع التشبيه فيما سيأتي.

مثال عن بنية التشبيه وأركانه: قال الشاعر: العُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أوْ***كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إقامَه

- ✓ المشبه: العُمْرُ.
- ✓ المشبه به: الضَّيْفُ، الطَّيْفُ.
- ✓ أداة التشبيه: مِثْلُ، الكاف.
- ✓ وجه الشبه: الزَّوالُ والفَناءُ.

3– أنواع التشبيه: تجدر الإشارة في هذا الشأن أن للتشبيه أنواع وتقسيمات متنوعة تعود بالأساس إلى زاوية التقسيم، وهذا بالنظر إلى أركانه؛ مثل ذكر الأداة وحذفها، أو ذكر الوجه وحذفه، أو انعكاس الطرفين من عدمه، أو ظهور التشبيه وخفائه، أو باعتبار وجه الشبه صفة أو صورة منتزعة من متعدد. وهذا بيان ذلك:

أ/ أنواع التشبيه من حيث إثبات الأداة والوجه أو حذف أحدهما أو هما معا: وهو على أربعة أقسام هي:

أ/1– التشبيه المرسل المفصل: ويُعرفُ بالتشبيه التام، لأنه احتوى على الأركان الأربعة جميعها، ويُعدّ هذا القسم من أقسام التشبيه "أوّل مراتب التشبيه الخالية من المبالغة"[5]، لأن المطابقة التامة بين المشبه والمشبه به غير واردة لوجود الأداة ووجه الشبه، فقد فصلت الأداة بين الطرفين وتميّز كل طرف عن الآخر، أما الوجه فقد حصر التشابه في وجه مخصوص بينهما.

---

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 122.

2 م ن، ص ن.

3 م ن، ص ن.

4 م ن، ص ن.

5 م ن، ص 123.

مثال توضيحي:

1- قال الشاعر: قُصورٌ كَالكَواكِبِ لامِعاتٌ***يَكَدْنَ يُضِئْنَ للسّاري الظَّلاما

- ✓ المشبه: قصور.
- ✓ المشبه به: الكواكب.
- ✓ أداة التشبيه: الكاف. (مذكورة: مرسل).
- ✓ وجه الشبه: اللّمعان. (مذكور: مفصل).
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل.

2- قال الشاعر: أنْتَ كَالبَحْرِ في السَّماحَةِ والشَّمْ***سِ عُلُوًّا والبَدْرِ في الإشْراقِ

- ✓ المشبه: أنْتَ (الممدوح).
- ✓ المشبه به: البَحرُ، الشّمسُ، البَدرُ.
- ✓ أداة التشبيه: الكاف. (مذكورة: مرسل).
- ✓ وجه الشبه: السَّماحَة، العُلُوُّ، الإشراقُ. (مذكور: مفصل).
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مرسل مفصل.

أ/**2- التشبيه المرسل المجمل**: هو ما ذُكر فيه الأداة، وحُذفَ منه وجه الشبه "فالإرسال من ناحية الأداة، والإجمال من ناحية الوجه"[1]، بمعنى أن وجه الشبه هنا لم يحصر التشابه في أمر مخصوص، وإنما كان إجمالا لكل الأمور بين الطرفين.

مثال توضيحي:

1- قال الله تعالى: ﴿**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾. (الرحمان: 24).

- ✓ المشبه: الجواري (السُّفُنُ).
- ✓ المشبه به: الأعلامُ.
- ✓ أداة التشبيه: الكاف. (مذكورة: مرسل).
- ✓ وجه الشبه: (محذوف: مجمل).
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل.

2- قال الشاعر: كَمْ نَعْمَةٍ مَرَّتْ بِنا وكَأنَّها***فَرَسٌ يُهَرْوِلُ أوْ نَسيمٌ ساري

- ✓ المشبه: نِعْمَةٌ.
- ✓ المشبه به: فَرَسٌ يُهَرْوِلُ، نَسيمٌ ساري.

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 124.

- ✓ أداة التشبيه: كأنَّ. (مذكورة: مرسل).
- ✓ وجه الشبه: (محذوف: مجمل).
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مرسل مجمل.

أ/**3- التشبيه المؤكد المفصل**: هو ما حُذفت منه الأداة، وذُكر فيه وجه الشبه "فالتّأكيد باعتبار حذف الأداة، والتفصيل باعتبار ذكر الوجه"[1].

مثال توضيحي:

1- قال الشاعر: أنْتَ نَجْمٌ في رِفْعَةٍ وضِياءٍ***تَحْتَلِيكَ العُيونُ شَرْقًا وغَرْبا

- ✓ المشبه: أنتَ (الممدوح).
- ✓ المشبه به: نَجْمٌ.
- ✓ أداة التشبيه: (محذوفة: مؤكد).
- ✓ وجه الشبه: الرِّفْعَةُ والضِّياءُ. (مذكور: مفصل).
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مؤكد مفصل.

2- قال الشاعر: بِنْتَ بِالفَضْلِ فَأصْبَحْتَ سَما***ءً وأصْبَحَ النّاسُ أرْضا

- ✓ المشبه: أنتَ (الممدوح)، النّاس.
- ✓ المشبه به: سَماء، أرض.
- ✓ أداة التشبيه: (محذوفة: مؤكد).
- ✓ وجه الشبه: الظُّهورُ بالفَضْلِ. (مذكور: مفصل).
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مؤكد مفصل.

أ/**4- التشبيه المؤكد المجمل**: ويُعرف بالتشبيه البليغ، إذ حُذفت فيه الأداة والوجه معًا، وفي هذا النوع " يصل التشبيه إلى الذروة في المبالغة"[2]، إذ يصبح التطابق كاملا بين الطرفين، فلا يُميّز أحدهما عن الآخر.

مثال توضيحي:

1- قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (آل عمران: 133).

- ✓ المشبه: عَرْضُ الجَنَّةِ.

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 124.

2 م ن، ص ن.

- ✓ المشبه به: عَرْضُ السَّماواتِ والأرْضِ.
- ✓ أداة التشبيه: (محذوفة: مؤكد).
- ✓ وجه الشبه: (محذوف: مجمل).
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مؤكد مجمل.

2– قال الشاعر: النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دَنا***نِيرُ وأطْرافُ الأكُفِّ عَنَمْ

- ✓ المشبه: النَّشْرُ، الوُجوهُ، أطْرافُ الأكُفِّ.
- ✓ المشبه به: مِسْكٌ، دَنانيرُ، عَنَمُ.
- ✓ أداة التشبيه: (محذوفة: مؤكد).
- ✓ وجه الشبه: (محذوف: مجمل).
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مؤكد مجمل.

ب/ أنواع التشبيه من حيث تحقق وجه الشبه في الطرفين أو عدم تحققه: ويندرج تحته نوعان هما:

ب/1– التشبيه التحقيقي: وهو "ما يكون وجه الشبه فيه موجودا في الطرفين حقيقة"[1]؛ أي: أن المماثلة بين المشبه والمشبه به تكون في شيء حقيقي موجود في الواقع تراه العين المبصرة.

مثال توضيحي:

قال الله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾. (يس: 39).

- ✓ المشبه: القمَرُ.
- ✓ المشبه به: العُرجونُ.
- ✓ أداة التشبيه: الكاف.
- ✓ وجه الشبه: التَّقَوُّسُ.
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه تحقيقي.

ب/2– التشبيه التخييلي: وهو "ما يكون وجه الشبه فيه موجودا في أحد الطرفين، أو في كليهما، على سبيل التخييل والتأويل"[2]؛ أي: أن وجه الشبه لا يرى بالعين المبصرة من باب الواقع والحقيقة.

مثال توضيحي: قال علي بن أبي طالب في حال فِتَنِ الدُّنْيا: "فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المظْلِمِ".

- ✓ المشبه: الفِتَنُ.

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 124.
2 م ن، ص 125.

- ✓ المشبه به: قِطَعُ اللَّيْلِ.
- ✓ أداة التشبيه: الكاف.
- ✓ وجه الشبه: الظُّلْمَةُ. (الظُّلْمَةُ صفة موجودة في المشبه به، إلّا أنها مُتُخَيَّلَةٌ في المشبه، فالفتن ليست مظلمة واقعا).
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه تخييلي.

ج/ أنواع التشبيه من حيث ظهور التشبيه أو خفائه: وهو قسمان:

ج/1– التشبيه الصريح: وهو "التشبيه الذي يكون ظاهرا في العبارة؛ لوضع طرفي التشبيه فيه في قالب من قوالب التشبيه المعهودة"[1]؛ أي: أن كل أركان التشبيه فيه مثبتة، والمقاربة بين المشبه والمشبه به ظاهرة واضحة لا تحتاج إلى إعمال الفكر لتحديدها ومعرفة أركان التشبيه فيها.

مثال توضيحي: النّاسُ سَواسِيَةٌ كَأسْنانِ المِشْطِ.

- ✓ المشبه: النّاسُ.
- ✓ المشبه به: أسْنانُ المِشْطِ.
- ✓ أداة التشبيه: الكاف.
- ✓ وجه الشبه: المُساواةُ.
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه صريح. لأنّ معنى التشبيه فيه ظاهر مدرك من بنية التشبيه، وقد جاء وفق قالب التشبيه المعروف.

ج/2– التشبيه الضمني: وهو "التشبيه الذي لا يكون ظاهرا في الكلام، بل يُفهم منه تلميحا؛ لعدم وضع الطرفين في صورة من صور التشبيه المعهودة"[2]؛ أي: أنّ المقاربة بين المشبه والمشبه به لا تظهر من بنية التشبيه، وإنما تستنتج من سياق الكلام. وما يميّز التشبيه الضمني عن غيره أمور هي:

- أنّ التشبيه فيه غير مصرح به، بل يُلمح ويُستنتج من المعنى، ومن سياق الكلام ومناسبته.
- عدم وجود ترابط لفظي بين طرفي التشبيه، وما يظهر في الوهلة الأولى أنّ كلّ واحد منهما مستقل عن الآخر.

مثال توضيحي:

1– قال المتنبي وهو في السجن وقد قَدَّمَ لَهُ الحارِسُ طَعامًا رَديئًا: غَيْرَ اخْتِيارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بي***والجوعُ يُرْضي الأُسودَ بِالجِيَفِ

- ✓ المشبه: الشاعرُ (ذاتُهُ)، بِرَّكَ (الطَّعامُ).
- ✓ المشبه به: الأُسودُ، الجِيَفُ.

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 125.

2 م ن، ص ن.

- ✓ أداة التشبيه: محذوفة.
- ✓ وجه الشبه: غير مُصرّحٍ به، وإنما يُلَمَّحُ له من سياق المعنى؛ أي: مثلما ترضى الأسود بأكل الجيف حينما تجوع ولا تجد ما تصطاده وتفترسه، فتضطر لذلك، كذلك حال الشاعر فقد اضطرّه السجن أن يقبل رديءَ الطّعام، وقد كان قبل سجنه يأكل كل ما لذَّ وطاب. وعليه فالعلاقة بين معنى شطري البيت لا تدرك ظاهرا وإنما تحتاج إلى إعمال الفكر والاستنتاج من خلال الشرح وتوظيف مناسبة الكلام.
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه ضمني. لأنّ معنى التشبيه فيه غير ظاهر وغير مدرك من بنية التشبيه، وإنما يُلتَمسُ من سياق الكلام.

2- قال الشاعر: لا تَحْقِرَنَّ صَغيرًا في مُخاصَمَةٍ***إنَّ البَعوضَةَ تُدْمي مُقْلَةَ الأسَدِ

- ✓ المشبه: الإنسانُ الصَّغيرُ والضَّعيفُ.
- ✓ المشبه به: البَعوضةُ.
- ✓ أداة التشبيه: محذوفة.
- ✓ وجه الشبه: غير مُصرّحٍ به، وإنما يُلَمَّحُ له من سياق المعنى؛ أي: أنَّ البَعوضَةَ بالرغم من صِغرها وضَعفها تستطيع أن تُلحق الضرر بمُقلة الأسد (المقلة: العين)، كذلك حال الإنسان الصغير والضعيف في شأن ما يستطيع أن يُلحق الضرر بشخص أقوى منه حين التخاصم والتشاجر. وعليه فالعلاقة بين معنى شطري البيت لا تدرك ظاهرا وإنما تحتاج إلى إعمال الفكر والاستنتاج من خلال الشرح والتعمق في المعنى.
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه ضمني. لأنّ معنى التشبيه فيه غير ظاهر وغير مدرك من بنية التشبيه، وإنما يُلتَمسُ من سياق المعنى.

د/ أنواع التشبيه من حيث انعكاس الطرفين أو عدم انعكاسه: وهو نوعان:

د/1- التشبيه المقلوب: وهو "التشبيه الذي يُجعل ما كان الأصل فيه أن يكون مشبها به مشبها، وما كان الأصل أن يكون مشبها مشبها به"[1]؛ أي: إيهام السامع أن ما قُصِدَ جعله مشبها به قد صار مشبها، فيصبح الفرع أصلا، والأصل فرعا، لأن الأصل أن يكون وجه الشبه أظهر وأبين وأكثر ملاءمة للمشبه به، فيعقد التشبيه لمقاربة المشبه بالمشبه به، لكن في التشبيه المقلوب يصبح وجه الشبه لصيقا بالمشبه به، وهذا هو القلب وتغليب الفرع على الأصل.

مثال توضيحي:

1- قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾. (البقرة: 275).

- ✓ المشبه: البيعُ.

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 126.

- ✓ المشبه به: الرِّبا.
- ✓ أداة التشبيه: مثلُ.
- ✓ وجه الشبه: التَّسوِيَة. غير أنّ المعنى يفيد جعل البيع كالربا وهو قلب، فالأصل هو البيع، والربا فرع عن البيع، فقُلب الأصل فرعا، والفرع أصلا.
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مقلوب.

2– قال الشاعر: وبَدا الصَّباحُ كَأنَّ غُرَّتَهُ***وَجْهُ الخَليفَةِ حينَ يُمْتَدَحُ

- ✓ المشبه: غُرَّةُ الصَّباحُ.
- ✓ المشبه به: وَجْهُ الخَليفَةِ.
- ✓ أداة التشبيه: كأنَّ.
- ✓ وجه الشبه: البَياضُ والإشراقُ. غير أنّ المعنى يفيد إلحاق البياض والإشراق بوجه الخليفة والأحق أن يكون ملازما للصباح وهو قلب، فالأصل هو بياض الصباح، وإشراق وجه الخليفة فرع، فقُلب الأصل فرعا، والفرع أصلا.
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه مقلوب.

د/2– التشبيه غير المقلوب: وهو الأصل في بنية التشبيه؛ أي: أن يكون وجه الشبه لصيقا وملازما للمشبه به، وأكثر ظهورا وبيانا فيه، وما عقد المماثلة والتشبيه بين الطرفين إلّا لتقريب المشبه بالمشبه به في وجه الشبه، الظاهر في المشبه به أصلا. بمعنى حمل الفرع على الأصل، وهذا النوع من التشبيه هو الأكثر استعمالا لأنه الأصل في التشبيه.

مثال توضيحي: النّاسُ سَواسِيَةٌ كَأسْنانِ المِشْطِ.

- ✓ المشبه: النّاسُ.
- ✓ المشبه به: أسْنانُ المِشْطِ.
- ✓ أداة التشبيه: الكاف.
- ✓ وجه الشبه: المُساواةُ.
- ❖ نوع التشبيه: تشبيه غير مقلوب. لأنّ وجه الشبه (المساواة) ألزم وأظهر في المشبه به (أسنان المشط) من المشبه (الناس).

هـ/ أنواع التشبيه من حيث كون وجه الشبه صفة أو صورة منتزعة من متعدد: وهو قسمان:

هـ/1– التشبيه التمثيلي: وهو "ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد"[1]؛ أي: أن وجه الشبه لم يرد صفة مفردة (أو مجموعة من الصفات المفردة المتتابعة)، وإنما جاء وجه الشبه صورة مجزأة يمكن تمثُّلها وتخيُّلُها واقعا.

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 127.

مثال توضيحي:

1- قال الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾. (البقرة: 261).

- ✓ المشبه: إنفاق المال في سبيل الله تعالى.
- ✓ المشبه به: حبة القمح.
- ✓ أداة التشبيه: مثلُ.
- ✓ وجه الشبه: فمثلما تُنبت حبة قمح واحدة سبعمائة حبة جديدة، كذلك الإنفاق في سبيل الله يتضاعف إلى أضعاف كثيرة، فدينار واحد في سبيل الله يضاعف جزاؤه عند الله إلى سبعمائة ضعف. ووجه الشبه هنا لم يكن في صفة، بل جاء صورة مجزأة يمكن تمثُّلها وتخيُّلُها واقعا.

❖ نوع التشبيه: تمثيلي.

2- قال الشاعر: كَأنَّ سَوادَ اللَّيْلِ والفَجْرُ ضاحِكٌ***يَلوحُ ويَخْفى أسْوَدٌ يَتَبَسَّمُ

- ✓ المشبه: شِدَّةُ سَوادِ اللَّيْلِ مَعَ بَياضِ الفَجْرِ وقْتَ بُزوغِهِ.
- ✓ المشبه به: رَجُلٌ أسْوَدُ البَشَرَةِ يَتَبَسَّمُ.
- ✓ أداة التشبيه: كأنَّ.
- ✓ وجه الشبه: مثلما يظهر بياض أسنان الرجل الأسود البشرة حينما يبتسم، كذلك يظهر بياض الفجر حين يزوغه في ليل حالك مظلم، ووجه الشبه هنا لم يكن في صفة، بل جاء صورة مجزأة يمكن تمثُّلها وتخيُّلُها واقعا.

❖ نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي.

هـ/2- التشبيه غير التمثيلي: وهو على عكس سابقه، إذ يرد فيه وجه الشبه صفة مفردة وإن تعددت في المثال الواحد.

مثال توضيحي: قال الشاعر: أنْتَ كَالبَحْرِ في السَّماحَةِ والشَّمْ***سِ عُلُوًّا والبَدْرِ في الإشْراقِ

- ✓ المشبه: أنْتَ (الممدوح).
- ✓ المشبه به: البَحرُ، الشّمسُ، البَدرُ.
- ✓ أداة التشبيه: الكاف.
- ✓ وجه الشبه: السَّماحَة، العُلُوُّ، الإشراقُ. (جاء وجه الشبه هنا صفة مفردة وليس صورة منتزعة من متعدد).

❖ نوع التشبيه: تشبيه غير تمثيلي.

المحاضرة الثالثة: قضايا المجاز في البلاغة العربية: المجاز العقلي والمرسل

محاور المحاضرة:

1- الحقيقة والمجاز.

2- المجاز العقلي.

3- أنواع العلاقة في المجاز العقلي

4- المجاز المرسل.

5- أنواع العلاقة في المجاز المرسل.

تفصيل:

1- الحقيقة والمجاز: بالنظر إلى المعنى اللغوي للحقيقة والمجاز، فقد جاء في لسان العرب: "والحَقيقةُ في اللُّغَةِ: ما أُقِرَّ في الاسْتِعْمالِ عَلى أصْلِ وَضْعِهِ، والمَجازُ ما كانَ بِضِدِّ ذَلِكَ، وإنَّمَا يَقَعُ المَجَازُ ويُعْدَلُ إلَيْهِ عَنِ الحَقيقَةِ لِمَعانٍ ثَلاثَةٍ، وهِيَ: الاتِّساعُ، والتَّوْكيدُ، والتَّشْبيهُ، فَإنْ عُدِمَ هَذِهِ الأَوصافُ كَانَتِ الحَقيقَةُ البَتَّةَ"[1]. فالحقيقة في معناها اللغوي من الفعل حَقَّقَ الشَّيْءَ، بمعنى أثْبَتَهُ. والإثْباتُ هُنا من جِهَةِ الواقِعِ. وجاء أيضا في لسان العرب: "جُزْتُ الطَّريقَ، وجازَ المَوْضِعَ: ...، سارَ فيهِ وسَلَكَهُ، وأجازَهُ: خَلَّفَهُ وقَطَعَهُ"[2]. فالمجاز لغة يدل على القطع والسّير والترك، بمعنى آخر: قطع الحقيقة وتركها.

1-1- الحقيقة: الحقيقة في اصطلاح البلاغيين هي "استعمال اللفظ فيما وُضِعَ له، في اصطلاح التخاطب"[3]، فاللفظ قبل الاستعمال، وبعد الوضع، لا يتصف بالحقيقة أو المجاز، فالأمر موكل إلى الاستعمال لتحديد طبيعة اللفظ ومقصد المتكلم من ذلك الاستعمال.

والحقيقة في البلاغة نوعان: حقيقة لفظية، وحقيقة معنوية:

فالحقيقة اللفظية: هي التي تقوم على "استخدام اللفظ المفرد فيما وُضِع له في الأصل"[4]؛ مثل: لفظة القلم لأداة الكتابة، والأسد للحيوان المفترس المعروف بهذا الاسم، والنهر للمجرى المائي الدائم.

أما الحقيقة المعنوية: فهي التي تقوم على "علاقة الإسناد، إسناد المعنى إلى صاحبه الحقيقي، كالصهيل إلى الحصان، والتغريد إلى الطير، والنطق للإنسان"[5]؛ لأنك تقول حينها: صَهِلَ الحصانُ، وغَرَّدَ العُصْفورُ، ونَطَقَ فُلانٌ. ولو حدث أن أُسْنِدَ

---

1 ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب وآخر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ج 3، ص 258.

2 م ن، ج 2، ص 416.

3 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد الأئمة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 138.

4 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار الميسرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 170.

5 م ن، ص ن.

الصهيل لفلان مثلا، فإن علاقة الإسناد هنا تصبح مجازية لا حقيقية. فعلاقة الإسناد يجب أن تكون من الواقع المُتواضَع عليه.

1-2- المجاز: المجاز في اصطلاح البلاغيين هو "استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ له، في اصطلاح التخاطب، على وجه يصح، مع قرينة مانعة من إرادة ما وُضِعَ له"[1]، بمعنى: استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي الأصلي الذي تمّ التواضع عليه، مع وجود قرينة لفظية أو حالية تمنع إيراد ذلك المعنى الحقيقي حين الاستعمال. ولذا فالمجاز يقوم على ثلاث ركائز أساسية: **أولها** لفظ يُستعمل في غير ما وُضِع له.

ثانيها وجود علاقة ومناسبة بين المعنى الذي وُضِعَ له اللفظ والمعنى الذي يستعمل فيه.

ثالثها قرينة مانعة من إيراد المعنى الأصلي المتواضع عليه.

والمجاز في البلاغة نوعان: مجاز لغوي (لفظي)، ومجاز عقلي:

فالمجاز اللغوي (اللفظي): هو "استعمال كلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة"[2]، وهذه العلاقة قد تكون المشابهة، أو غير المشابهة، وبواسطتها يتحدد نوع المجاز والصورة البيانية المتأتية عن ذلك. وعليه فالمجاز اللغوي (او اللفظي) ينقسم إلى قسمين باعتبار العلاقة (المشابهة، غير المشابهة) إلى قسمين هما:

أ/ مجاز لغوي تكون فيه "العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للكلمة قائمة على علاقة المشابهة"[3]، وهذا ما يعرف بـ: الاستعارة.

ب/ مجاز لغوي تكون فيه "العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للكلمة قائمة على علاقة غير المشابهة"[4]، وهذا ما يعرف بـ: المجاز المرسل.

أما المجاز العقلي: فهو إسناد الفعل أو معناه إلى غير صاحبه، لعلاقة وقرينة مانعة. وهذا بيانه المفصل فيما سيأتي.

2- المجاز العقلي: يعرّف المجاز العقلي بأنه "إسناد الفعل أو ما هو في معناه (أي: المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل..) إلى غير صاحبه، لعلاقة، مع قرينة تمنع أن يكون الإسناد حقيقيا"[5]، وسمي عقليا لأن التجوز فَهْمٌ من العقل لا من اللغة كما في المجاز اللغوي. ففي الإسناد الحقيقي يكون إسناد الفعل وما يحل محله إلى فاعل حقيقي، مطابق للواقع والحقيقية، مثل: كتب الطالب الدرس؛ فلفظ الطالب فاعل أُسند إلى الفعل كتب من باب الحقيقة، لأن هذا الطالب من خصائصه ومميزاته الكتابة أثناء طلب العلم، وهذا أمر حقيقي واقعي، لذا فالإسناد هنا إسناد حقيقي.

---

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 138.

2 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 170.

3 م ن، ص ن.

4 م ن، ص ن.

5 م ن، ص ن.

أما حينما نقول: تُربي المدرسة الأبناء: فلفظ المدرسة فاعل أُسند للفعل تربي من باب المجاز، لأن الذي يربي هو البشر، والمدرسة في الحقيقة بناية أنجزها البشر، والعاملون فيها بشر، فكأنما القصد هنا هو أن المدرسة وما تحويه من مربين يربون الأبناء، وعليه فالإسناد هنا إسناد مجازي لا حقيقي، وإعمال العقل في معنى المثال هو الذي يحدد المقصود. فيصبح العقل هنا قرينة دالة على ذلك المقصود، أما العلاقة في المجاز العقلي فهي المسوغ لإسناد الفعل إلى غير صاحبه.

3- أنواع العلاقة في المجاز العقلي: العلاقة في المجاز العقلي بين الفعل أو ما هو في معناه، وبين الفاعل غير الحقيقي أنواع كثيرة، أهمها:

1- العلاقة الفاعلية: وفيها "يُسند ما بُنيَ للمفعول إلى الفاعل"[1]، نحو:

* قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾. (الإسراء: 45). فحقيقة الإسناد في الآية الكريمة (حِجابًا مَسْتورًا) أي: حِجابًا مَسْتورًا صاحِبُهُ بِهِ، لأن المستور هو الشخص في الإسناد الحقيقي سترَ الحجابُ فُلانًا، أما أن يكون الحجاب هو المستور ففي هذا إسناد مجازي، قرينته العقل الذي يحدد المقصود، وعلاقته الفاعلية لأنه تمَّ إسناد ما للمفعول في الحقيقة إلى الفاعل مجازا.

* وقال الشاعر: تَكادُ عَطاياهُ تُجَنُّ جُنونُها***إذا لَمْ يُعَوِّدْها بِرُقْيَةِ طالِبِ

في هذا البيت أصبحت عطايا الممدوح كائنا حيا، وأصبح يجنّ جنونها، وهذا تعبير مجازي، لأن الفعل يجنّ أُسند للمصدر الجنون وهذا وجه الإسناد المجازي، والأصل أن يُسند الجنون للرجل الذي يُصاب به. ففي قوله (تُجَنُّ جُنونُها) مجاز عقلي، أصله جُنّ الرجلُ جنونًا، قرينته المانعة من إيراد المعنى الحقيقي هي العقل الذي يحدد المقصود، والعلاقة الفاعلية لأنه تمَّ إسناد ما للمفعول في الحقيقة إلى الفاعل مجازا.

2- العلاقة المفعولية: وفي هذه العلاقة "يُسنَد الفعل المبني للفاعل إلى المفعول به"[2]، نحو:

* وقال الشاعر: دَعِ المَكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها***واقْعُدْ فَإنَّكَ أنْتَ الطّاعِمُ الكاسي

في هذا البيت يهجو الحطيئة الزِّبْرِقانَ بن بدر، ويريد من قوله (أنْتَ الطّاعِمُ الكاسي) (بصيغة اسم الفاعل): أنْتَ المَطْعومُ المَكْسُوُّ (صيغة اسم المفعول)، فأسند الفعل (طَعِمَ، كَسِيَ) المبني للفاعل (الطّاعِمُ الكاسي) من باب الإسناد المجازي، إلى ضمير المفعول (المَطْعومُ المَكْسُوُّ)؛ أي: أنْتَ ذو طَعامٍ وكِساءٍ.

3- العلاقة المصدرية: وفي هذه العلاقة "يُسنَدُ الفعل إلى مصدره"[3]، نحو:

* وقال الشاعر: سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدَّ جَدُّهُمُ***وفي اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 172.

2 م ن، ص ن.

3 م ن، ص 171.

في هذا البيت حين قول الشاعر (جَدَّ جَدُّهُمُ) أُسنِدَ الفعل (جَدَّ) إلى مصدره (جَدُّهُمُ) بمعنى: اجتهادهم، وهو ليس الفاعل الحقيقي لذلك الفعل، وإنما فاعله هو شخص مقصود؛ أي: جَدَّ فُلانٌ، وليس جَدُّهُ. لذا فالإسناد هنا مجازي، قرينته عقلية، وعلاقة الإسناد هنا المصدرية، لأن الفعل (جَدَّ) أُسنِدِ إلى المصدر (جَدُّهُمُ).

4- العلاقة السببية: في هذه العلاقة يكون إسناد الفعل إلى غير صاحبه الحقيقي، وإنما على المجاز، نحو:

* تَبْني الدَّوْلَةُ الجامِعاتِ.

ففي الحقيقة الدولة لا تقوم بعملية البناء، وإنما يقوم بها العاملون حقيقة، وبأمر من الدولة، لذا فقد تمّ إسناد الفعل (تبني) إلى غير صاحبه الحقيقي (الدولة)، والعلاقة بين الفاعل الحقيقي (العاملون) والمجازي (الدولة) هي علاقة سببية، لأن سبب البناء هو أمر الدولة.

5- العلاقة المكانية: في هذه العلاقة يتمّ إسناد الفعل إلى المكان الذي حدث فيه ذلك الفعل، نحو:

* قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ**﴾. (الأنعام: 06).

ففي الآية الكريمة في قوله تعالى (الأنهار تجري) أُسنِدَ الفعل (جرى) إلى الفاعل المجازي (الأنهار)، وفي الحقيقة الأنهار أماكن لجري المياه، فالذي يجري حقيقة هو المياه الموجودة في الأنهار، فقد أُسنِد الفعل إلى المكان الذي يحدث فيه.

6- العلاقة الزمانية: في هذه العلاقة يتمّ إسناد الفعل إلى الزمان الذي حدث فيه ذلك الفعل، نحو:

* مَرَّتْ بِنا سَنَةٌ جَدْباءُ.

في هذا المثال أُسنِدَ الجَدْبُ إلى السَّنَةِ، وهذا إسناد مجازي، لأن الأرض هي التي تجدب في الواقع والحقيقة، والسّنة هي زمن حدوث هذا الجدب، وبالتالي تمّ إسناد الفعل إلى زمن حدوثه إسنادا مجازيا.

4- المجاز المرسل: يعرّف المجاز المرسل عند البلاغيين بأنه: "لفظة استُعمِلَت في غير معناها الأصلي، لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[1]، وسمي مرسلا لأن العلاقة فيه غير مقيّدة بواحدة وإنما أرسلت وتعددت لتشمل علاقات متنوعة، أما القرينة فقد تكون لفظية أو حالية حسب السياق، وهي التي تمنع إيراد المعنى الحقيقي في مقابل استعمال المعنى المجازي. والسرّ البلاغي في المجاز المرسل هو تلك العلاقة التي تربط بين المعنى الحقيقي (الظاهر غير المقصود) والمعنى المجازي (الخفي المقصود)، وتنوع وتعدد هذه العلاقات في المجاز المرسل هو ما يضفي عليه بلاغة وبيانا في التعبير.

5- أنواع العلاقة في المجاز المرسل: العلاقات في المجاز المرسل كثيرة ومتنوعة، أشهرها:

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 174.

1- السَّبَبِيَّة: وهي "تسمية الشّيء باسم سببه"[1]، بمعنى استعمال السبب للدلالة على النتيجة، فتتحقق السببية بأن "يطلق اسم السبب على المسبّب"[2]. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾. (الفتح: 10).

ففي قوله تعالى (يَدُ اللهِ) لا يقصد معناها الحقيقي وهو أحد أعضاء الجسم، وإنما يقصد القوّة. ويكمن تحديد المجاز المرسل على هذا النحو الموالي:

- ✓ المعنى المذكور غير المقصود: اليَدُ.
- ✓ المعنى المحذوف المقصود: القُوَّةُ.
- ✓ القرينة: عقلية.
- ✓ العلاقة: السببية. لأن اليد سبب في وجود القوة.

* وقال الشاعر: لَهُ أيادٍ عَلَيَّ سابِغَةٌ***أُعِدُّ مِنْها ولا أُعَدِّدُها

في هذا المثال المقصود بالأيادي النّعم التي أسبغها الممدوح على الشاعر. ويكمن تحديد المجاز المرسل على هذا النحو الموالي:

- ✓ المعنى المذكور غير المقصود: أيادٍ.
- ✓ المعنى المحذوف المقصود: النِّعَمُ.
- ✓ القرينة: عقلية.
- ✓ العلاقة: السببية. لأن الأيادي سبب في وجود النِّعَمِ التي شملت الشاعر.

2- المُسَبَّبِيَّة: وفي هذه العلاقة تَتِمُّ "تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ باسْمِ نتيجته، أو ما يتسبّب عنه"[3]، بمعنى استعمال النتيجة للدلالة على السّبب. فتتحقق السببية بأن "يطلق اسم المسبَّب على السبب"[4]. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ**﴾. (غافر: 13).

في قوله تعالى (ينزل رزقا) تعبير مجازي، لأن الذي ينزل هو المطر، وهذا المطر يكون مُسبِّبا للرزق. ويكمن تحديد المجاز المرسل على هذا النحو الموالي:

---

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 174.

2 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 140.

3 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 175.

4 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 140.

- ✓ المعنى المذكور غير المقصود: رِزْقًا.
- ✓ المعنى المحذوف المقصود: المَطَرُ.
- ✓ القرينة: عقلية.
- ✓ العلاقة: المسببية. لأن المطر يكون مسببا للرزق الذي ينبت من الأرض.

* وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. (النساء: 10).

في قوله تعالى (يأكلون نارا) تعبير مجازي، لأن المقصود هنا هو أموال اليتامى المحرمة، وهي بدورها ستكون مسببا لدخول النار. ويكمن تحديد المجاز المرسل على هذا النحو الموالي:

- ✓ المعنى المذكور غير المقصود: نارًا.
- ✓ المعنى المحذوف المقصود: الأموالُ المحرمة.
- ✓ القرينة: عقلية.
- ✓ العلاقة: المسببية. لأن الأموال المحرمة مُسبِّب في دخول النّار لآكلي أموال اليتامى.

3– الكُلِّيَّة: وفي هذه العلاقة تَتِمُّ "تسمية الشَّيْءِ باسم كُلِّهِ، بحيث يُستعمَل اللفظ الدّال على الكلِّ ويُراد جزءٌ منه"[1]، بمعنى آخر: يُطلق الكلّ ويقصد منه الجزء. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾. (نوح: 07).

لفظ أصابعهم تعبير مجازي، لأنه لا يمكن إدخال الأصبع كاملة في الأذن، وإنما يدخل مقدمها وهي الأنامل، لذا:

- ✓ المعنى المذكور غير المقصود: أصابعُهم.
- ✓ المعنى المحذوف المقصود: أنامِلُ الأصابع.
- ✓ القرينة: عقلية.
- ✓ العلاقة: الكُلِّيَّة. فقد ذكر الكلّ وهو الأصابع، وقصد الجزء وهي الأنامل.

* وقال الشاعر: أقَمْتُ بِأرْضِ مِصْرَ فَلا وَرائي***تَخُبُّ بيَ الرِّكابُ ولا أمامي

- ✓ المعنى المذكور غير المقصود: أرض مصر.
- ✓ المعنى المحذوف المقصود: مدينة من مدن مصر.
- ✓ القرينة: عقلية.

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 175.

✓ العلاقة: الكُلِّيَّة. فقد ذكر الكلّ وهو أرض مصر، وقصد الجزء وهي مدينة من مدنها.

4- الجُزْئِيَّة: وفي هذه العلاقة تَتِمُّ "تسمية الشَّيْءِ باسمِ جُزْئِهِ، ويُريدون كُلَّهُ"[1]، فيُطلق اللفظ الموضوع للجزء ويراد به الكلُّ. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**﴾. (النساء: 92).

✓ المعنى المذكور غير المقصود: رقبة.
✓ المعنى المحذوف المقصود: عبد رقيق.
✓ القرينة: عقلية.
✓ العلاقة: الكُلِّيَّة. فقد ذكر الجزء وهو رقبة، وقصد الكلّ وهو العبد الرقيق.

* وقال الله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾. (البقرة: 43).

✓ المعنى المذكور غير المقصود: الراكعين.
✓ المعنى المحذوف المقصود: المصلّين.
✓ القرينة: عقلية.
✓ العلاقة: الكُلِّيَّة. فقد ذكر الجزء وهو الراكعون، وقصد الكلّ وهو المصلّون.

5- المَحَلِّيَّة: وفي هذه العلاقة تَتِمُّ "تسمية الشَّيْءِ باسمِ مَحَلِّهِ"[2]، بمعنى استعمال الحاوي للدلالة على المحتوى. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا**﴾. (يوسف: 82).

✓ المعنى المذكور غير المقصود: القرية.
✓ المعنى المحذوف المقصود: سكان القرية.
✓ القرينة: عقلية.
✓ العلاقة: المحلية. فقد ذكر المحل وهو القرية وقصد سكان القرية.

* وقال الله تعالى: ﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ**﴾. (العلق: 17).

✓ المعنى المذكور غير المقصود: النادي.
✓ المعنى المحذوف المقصود: الرفقاء.
✓ القرينة: عقلية.

---

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 177.
2 م ن، ص 178

✓ العلاقة: المحلية. فقد ذكر المحل وهو النادي وقصد الرفقاء.

6- الحالِيَّةُ: تتحقق هذه العلاقة "بإطلاقِ اسمِ الحالِ في المكان على مَحَلِّهِ"[1]، فيصبح لفظ الحال الموضوع دالا على صفة مكانه. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾. (الانفطار: 13).

✓ المعنى المذكور غير المقصود: النّعيم.
✓ المعنى المحذوف المقصود: الجنّة.
✓ القرينة: عقلية.
✓ العلاقة: الحالية. فقد ذكر النَّعيمَ وهو حال الجنَّةِ.

* وقال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. (الأعراف: 31).

✓ المعنى المذكور غير المقصود: زينتَكم.
✓ المعنى المحذوف المقصود: الثِّياب.
✓ القرينة: عقلية.
✓ العلاقة: الحالية. فقد ذكر الزّينَةَ وهي حال الثّياب عند الذهاب إلى المسجد.

7- اعتِبارُ ما كانَ: وفي هذه العلاقة تَتِمُّ "تسمية الشَّيْءِ باعتِبارِ أصلِهِ، ونسبَتِهِ إلى الماضي"[2]، بمعنى أنّ الشيء يُسمى باسم ما كان عليه في الماضي، وليس على ما هو عليه في الحاضر. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾. (طه: 74).

✓ المعنى المذكور غير المقصود: مجرمًا يوم القيامة.
✓ المعنى المحذوف المقصود: كان مجرمًا في الحياة الدنيا.
✓ القرينة: عقلية.
✓ العلاقة: اعتبار ما كان. فقد ذكر صفة المجرم يوم الحساب على اعتبار ما كان عليه في الدنيا، أي: كان مجرما.

* وقال الله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾. (النساء: 02).

✓ المعنى المذكور غير المقصود: اليَتامى.
✓ المعنى المحذوف المقصود: البالِغين بعد سنِّ الرشد.

---

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 179.
2 م ن، ص 181.

- ✓ القرينة: عقلية.
- ✓ العلاقة: اعتبار ما كان. فقد ذكر اليتامى وهم الأطفال الصغار الفاقدون للوالدين أو أحدهما، ولكن يقصد عند بلوغهم سن الرشد، أي: الذين كانوا يتامى قبل بلوغهم الرشد.

8– اعتِبارُ ما سَيَكونُ: وفي هذه العلاقة تَتِمُّ "تسمية الشَّيْءِ باعتِبارِ ما سَيَؤولُ إليه"[1]، بمعنى أن الشيء يسمى باعتبار ما سيكون عليه مستقبلا. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿**قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا**﴾. (يوسف: 36).

- ✓ المعنى المذكور غير المقصود: خَمرًا.
- ✓ المعنى المحذوف المقصود: العِنَبُ.
- ✓ القرينة: عقلية.
- ✓ العلاقة: اعتبار ما سيكون. لأن الخمر لا تعصر وإنما العنب هو الذي يعصر ليصبح مستقبلا خمرا.

* وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾. (نوح: 27).

- ✓ المعنى المذكور غير المقصود: فاجرا كفارا.
- ✓ المعنى المحذوف المقصود: المولود.
- ✓ القرينة: عقلية.
- ✓ العلاقة: اعتبار ما سيكون. لأن المولود لا يحكم عليه بالكفر حتى يكبر ويكلف، فقصد أن هذا المولود سيصبح كافرا فاجرا مستقبلا.

9– الآلِيَّة: وفي هذه العلاقة "يُذكَرُ اسْمٌ ويُرادُ بِهِ الأثَرُ الذي يَنْتُجُ عنهُ، وبذلِكَ يُستَعمَلُ اللَّفظُ الدّالُ على آلَةِ الشَّيءِ مَكانَ الشَّيءِ نَفسِهِ"[2]، بمعنى تسمية الشيء باسم آلته. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾. (الرعد: 04).

- ✓ المعنى المذكور غير المقصود: لسان.
- ✓ المعنى المحذوف المقصود: اللغة.
- ✓ القرينة: عقلية.
- ✓ العلاقة: الآلية. فقد ذكر اللسان وقصد اللغة، فاللسان آلة اللغة وأثرها الظاهر.

---

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 182.

2 م ن، ص 183.

المحاضرة الرابعة: الاستعارة في البلاغة العربية

محاور المحاضرة:

1- تعريف الاستعارة.

2- أنواع الاستعارة باعتبار حذف أحد الطرفين.

3- بقية أنواع الاستعارة.

تفصيل:

1- تعريف الاستعارة:

أ/ لغة: الاستعارة مأخوذة من الجذر اللغوي (ع و ر)، ومن الفعل استعار، وقد جاء في لسان العرب: "تَعَوَّرَ واسْتَعارَ: طَلَبَ العارِيَّةَ، واسْتَعارَهُ الشَّيْءَ واسْتَعارَهُ مِنْهُ: طَلَبَ مِنْهُ أنْ يُعيرَهُ إيَّاهُ (...) ويُقالُ: اسْتَعَرْتُ مِنْهُ عارِيَّةً فَأعارَنيها، وقالَ الجَوْهري: العارِيَّةُ، بالتَّشْديدِ: كأنَّها مَنسوبَةٌ إلى العارِ، لأنَّ طَلَبَها عارٌ وعَيْبٌ"[1]. لذا فإنّ معنى الإعارة والاستعارة هو: أخذ الشّيءِ من شخص إلى آخر، كما يفيد أيضا معنى الانتقال.

ب/اصطلاحا: الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي، وهي "تشبيه حُذِف أحد طرفيه"[2]، بمعنى أن الاستعارة في الأصل تشبيه إلّا أنه غير مكتمل الأركان من جهة طرفيه، والعلاقة بين هذين الطرفين هي علاقة المشابهة، ولذا عُدَّت الاستعارة من المجاز اللغوي، فهي لفظ استعمل في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة. وللاستعارة أركان هي:

- المُستعار منه: وهو المشبه به.
- المُستعارُ له: وهو المشبه.
- المُستعار: وهو لفظ المشبه به.

2- أنواع الاستعارة باعتبار حذف أحد الطرفين: تنقسم الاستعارة إلى نوعين اثنين بالنظر إلى الطرف المحذوف فيها، لأنها في الأصل تشبيه، وهذا التشبيه لا يصبح تشبيها إذا تمّ التصرف في طرفيه أو في أحدهما. ونوعا الاستعارة هما:

2-1. الاستعارة التصريحية: وهي: ما صُرّحَ فيها بلفظ المشبه به دون المشبه"[3]، ومن أمثلة ذلك:

* قال الله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾. (الفاتحة: 06).

---

1 ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب وآخر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ج 9، ص 471.

2 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار الميسرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 186.

3 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد الأئمة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 143.

ففي الآية الكريمة شُبِّه الدِّين بالصراط، أي: (الدين مثل الصراط)، لكن حذف لفظ المشبه (الدين) وصرح بلفظ المشبه به (الصراط)، من باب الاستعارة التصريحية.

* وقال الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. (الرعد: 01).

في الآية الكريمة شُبِّهَ الكفر بالظلمات، والإيمان بالنور، أي: (الكفر مثل الظلمات، الإيمان مثل النور)، ولكن حذف لفظ المشبه (الكفر، الإيمان) وصرح بلفظ المشبه به (الظلمات، النور)، من باب الاستعارة التصريحية.

* وقال الشاعر: (المتنبي يصف دخول رسول الروم على سيف الدولة الحمداني)

وأَقْبَلَ يَمشي في البِساطِ فَما دَرى***إلى البَحْرِ يَسْعى أَمْ إلى البَدْرِ يرْتَقي

في البيت شبه الشاعر سيف الدولة بالبحر والبدر، أي: (سيف الدولة مثل البحر في العطاء، والبدر في العلو)، ولكن حذف لفظ المشبه (سيف الدولة) وصرح بلفظ المشبه به (البحر، البدر)، من باب الاستعارة التصريحية.

2-2. الاستعارة المكنية: وهي "ما حُذِفَ فيها المشبه به، ورُمِزَ له بشيء من لوازِمه"[1]، بمعنى أن يذكر لفظ المشبه، ويحذف لفظ المشبه به وتترك صفة من الصفات التي تلازم هذا المشبه به المحذوف لتدل عليه. ومن أمثلة ذلك:

* قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾. (مريم: 04).

في الآية الكريمة شبه الرأس بشيء قابل للاشتعال كالحطب مثلا، أي: (الرأس مثل الحطب في الاشتعال)، لكن ذكر لفظ المشبه (الرأس)، وحذف لفظ المشبه به (الحطب) وأتى بأحد لوازمه (اشتعل)، من باب الاستعارة المكنية.

* وقال الشاعر: لا تَعْجَبي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ***ضَحِكَ المشيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكى

في البيت شبه الشاعر المشيب بالإنسان، أي: (المشيب كالإنسان في الضحك)، ولكن ذكر لفظ المشبه (المشيب)، وحذف لفظ المشبه به (الإنسان) وأتى بأحد لوازمه (ضحك)، من باب الاستعارة المكنية.

* وقال الشاعر: إذا المنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفارَها***ألْفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ

في البيت شبه الشاعر المنية بالحيوان المفترس ذي الأظافر والمخالب كالأسد مثلا، أي: (المنية مثل الأسد في غرز الأظافر)، ولكن ذكر لفظ المشبه (المنية)، وحذف لفظ المشبه به (الأسد) وأتى بأحد لوازمه (الأظافر)، من باب الاستعارة المكنية.

3- بقية أنواع الاستعارة: هنالك اعتبارات أخرى في تقسيم الاستعارة خلاف اعتبار الطرفين من حيث الذكر والحذف للمشبه به، ومن هذه الاعتبارات: اعتبار اللفظ أصليٌّ أم تبعيٌّ، واعتبار طرفي الاستعارة من حيث اتصالها بالملائم من عدمه. ومن أنواع الاستعارة قياسا بالاعتبارات السابقة نذكر الآتي:

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 188.

3-1. الاستعارة الأصلِيَّة: وهي "ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا غير مشتق"[1]، بمعنى أن لفظ الاستعارة ورد اسما جامدا غير متصرف. نحو:

* قال الشاعر: (يرثي ابنه) يا كَوْكَبًا ما كانَ أقْصَرَ عُمْرِهِ***وكَذاكَ عُمْرُ كَواكِبِ الأسْحارِ

في البيت شبه الشاعر ابنه بالكوكب، فصرح بلفظ المشبه به (كوكبا)، وحذف لفظ المشبه (ابنه)، من باب الاستعارة التصريحية، وهذا باعتبار حذف أحد الطرفين. وبالنظر إلى لفظ المشبه به (كوكبا) فقد ورد هنا اسما جامدا غير مشتق، لذا تسمى هذه الاستعارة أصلية، باعتبار اللفظ المستعار.

* وقال الشاعر: بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبِيبَةَ والصِّبا***ولَبِسْتُ ثَوْبَ اللَّهْوِ وَهْوَ جَديدُ

في البيت شبه الشاعر الشبيبة والصبا بالإنسان الصديق، ولكن ذكر لفظ المشبه (الشبيبة، الصبا)، وحذف لفظ المشبه به (الإنسان) وأتى بأحد لوازمه (صحبت)، وهذه استعارة مكنية باعتبار حذف أحد الطرفين. وعند النظر إلى لفظ المشبه (الشبيبة، الصبا) فقد ورد هنا اسما جامدا غير مشتق، لذا تسمى هذه الاستعارة أصلية، باعتبار اللفظ المستعار.

3-2. الاستعارة التَّبَعِيَّة: وهي "ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسمًا مشتقا أو فعلًا[2]"، ومن المشتقات: الفعل المتصرف، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم المصدر، واسم الزمان والمكان، واسم الآلة، واسم التفضيل. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾. (الأعراف: 154).

في الآية الكريمة شبه انتهاء الغضب عن النبي موسى عليه السلام بالسكوت والهدوء، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو السكوت للمشبه، وهو انتهاء الغضب، ثم اشتق من لفظ السكوت فعل سكت بمعنى انتهاء الغضب. لذا فالاستعارة هنا تبعية باعتبار اللفظ المستعار.

* وقال الشاعر: وإذا السِّلاحُ أضاءَ فيهِ رَأى العِدا***بَرًّا تَألَّقَ فيه بَحْرٌ حَديدُ

في البيت شبه الشاعر لمعان السلاح بالإضاءة، لأن كل منهما مشرق، ثم اشتق من لفظ المشبه به (الإضاءة) فعل دال عليه. لذا فالاستعارة هنا تبعية باعتبار اللفظ المستعار.

3-3. الاستعارة المُرَشَّحَة: وهي الاستعارة "المقرونة بما يلائم المستعار منه"[3]، بمعنى أنه ذُكر معها ملائم المشبه به. نحو:

---

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 193.

2 م ن، ص ن.

3 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 144.

* قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. (البقرة: 16).

في الآية الكريمة شبهت الضلالة بالسلعة والتجارة، من باب الاستعارة المكنية. إلا أن عبارة (فما ربحت) تلائم اللفظ المستعار منه (التجارة) فرشحته للاستعارة. لذا فالاستعارة هنا مرشحة باعتبار ما يلائم الطرفين أو أحدهما.

* وقال الشاعر: إذا ما الدَّهْرُ جَرَّ عَلى أُناسٍ***كَلاكِلَهُ أناخَ بِآخَرينا

في البيت شبه الشاعر الدهر بالجمل، من باب الاستعارة المكنية. وعبارة (أناخ) رشحت لفظ المستعار منه (الجمل). لذا فالاستعارة هنا مرشحة باعتبار ما يلائم الطرفين أو أحدهما.

3-4. الاستعارة المُجَرَّدَة: وهي الاستعارة "المقرونة بما يلائم المستعار له"[1]، بمعنى أنه ذُكر معها ملائم المشبه. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. (النحل: 112).

في الآية الكريمة الإذاقة بالجوع والخوف في الضرر الناجم عنهما للإنسان، وعبارة (أذاقها) تلائم المشبه المستعار له (الإذاقة). لذا فالاستعارة مجرَّدة باعتبار ما يلائم الطرفين أو أحدهما.

* وقال الشاعر: وغَيَّبَتِ النَّوى الظَّبْياتُ عَنِّي***فَساعَدَتِ البَراقَعَ والحِجالا

في البيت شبه الشاعر النساء بالظبيات في الجمال والحسن، وعبارة (البراقع، الحجال) تلائم المشبه المستعار له (النساء). لذا فالاستعارة مجرَّدة باعتبار ما يلائم الطرفين أو أحدهما.

3-5. الاستعارة المُطلَقَة: وهي "التي خلت من ملائم الطرفين"[2]، أي: أنها خالية مما يلائم المشبه والمشبه به. نحو:

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾. (الحاقة: 11).

في الآية الكريمة شبه زيادة الماء بزيادة طغيان الفساد، دون أن يذكر ما يلائم المشبه أو المشبه به. لذا فالاستعارة مطلقة باعتبار ما يلائم الطرفين أو أحدهما.

* وقال الشاعر: (يمدح رجلا) يا بَدْرُ يا بَحْرُ يا غَمامَةُ***يا لَيْثَ الثَّرى يا حِمامُ يا رَجُلُ

في البيت شبه الشاعر الممدوح بالبدر، والبحر، والغمامة، وليث الثرى، والحِمام، والرجل، وكلها استعارات تصريحية باعتبار حذف أحد الطرفين. لكنه لم يذكر ما يلائم المشبه أو المشبه به. لذا فالاستعارة مطلقة باعتبار ما يلائم الطرفين أو أحدهما.

---

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 144.

2 م ن، ص ن.

المحاضرة الخامسة: الكناية والتعريض في البلاغة العربية

محاور المحاضرة:

1- تعريف الكناية.

2- أركان الكناية.

3- الفرق بين الكناية والمجاز.

4- أنواع الكناية.

5- التعريض.

تفصيل:

1- تعريف الكناية:

أ/ لغة: الكناية من الفعل كَنِيَ، وجاء في لسان العرب "والكِنايَةُ: أنْ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وتُرِيدَ غَيْرَهُ، وكَنَى عَنِ الأمْرِ بَغَيْرِهِ يَكْنِي كِنايَةً: يَعني: إذا تَكَلَّمَ بِغَيْرِهِ"[1]. ولذا يمكن القول إن المعنى اللغوي للكناية يدور حول الكلام وتحويل المقصد وعدم كشفه. فالكناية ستر المقصود وراء لفظ أو تركيب.

ب/ اصطلاحا: الكناية في اصطلاح البلاغيين "لفظ أُطلِقَ وأُرِيدَ بِهِ لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى"[2]، وتُعرّف الكناية أيضا "استعمال اللفظ في معناه الموضوع له، ليُرادَ منه لازمه، مع جواز إرادة الملزوم، وهو المعنى الموضوع له اللفظ"[3]، ومعنى ذلك أن للكناية معنيين اثنين: الأول هو المعنى الأصلي المتواضع عليه، أما الثاني فهو المعنى المقصود من خلال المعنى الأصلي؛ أي: أن هنالك معنى ثم معنى لذلك المعنى. وبالتالي نجد في الكناية معنى مذكور أصلي غير مقصود لذاته، ومعنى محذوف لازم هو المقصود. ويمكن تمثيل هذا الكلام وفق هذا الشكل:

اللفظ

⬇

معناه الأصلي ⬅ لازم المعنى الأصلي

مثال توضيحي: تقول العرب: "فلانَةٌ بَعيدَةُ مَهْوَى القِرْطِ" (المهوى: المسافة الفاصلة بين شحمة الأذن وأعلى الكتف. القرط: حلي تلصق بالأذن)، فبالنظر إلى معنى التركيب نجد أن المتكلم يبيّن أن المسافة بين شحمة الأذن وأعلى الكتف مسافة طويلة، وهذا هو المعنى الأصلي المذكور غير المقصود. ولكن حين التركيز في مقصود المتكلم نجده يتجاوز ذلك المعنى

---

1 ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب وآخر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ج 12، ص 174.

2 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار الميسرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 212.

3 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد الأئمة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 157.

الأصلي إلى تبيان أن هذه المرأة طويلة الرقبة، وهذا هو المعنى المحذوف والمقصود لذاته. وهذا المعنى الثاني المقصود هو لازم المعنى الأصلي، ولا يمنع ذلك من إرادة المعنيين معا. فيصبح التركيب "فلانَةٌ بَعيدَةُ مَهْوَى القِرْطِ" كناية عن طول الرقبة.

2- أركان الكناية: للكناية ثلاثة أركان هي:

أ/ المُكَنَّى بِهِ: وهو المعنى الحقيقي الذي استُعمِل فيه اللفظ، لينتقل منه إلى لازمه. وهو المذكور غير المقصود.

ب/ المُكَنَّى عَنْهُ: وهو لازم المُكَنَّى بِهِ. وهو المعنى المحذوف المقصود.

ج/ القرينة المرشدة إلى إرادة المعنى الكِنائي: وغالبا ما تكون حالية تفهم من سياق الكلام.

وبالعودة للمثال السابق: "فلانَةٌ بَعيدَةُ مَهْوَى القِرْطِ" نجد الأركان الآتية:

- المكنى به: طول المسافة بين شحمة الأذن وأعلى الكتف.
- المكنى عنه: طول الرقبة.
- القرينة: سياق الكلام ومقاصد المتكلم.

3- الفرق بين الكناية والمجاز: اختلف العلماء القدامى حول علاقة الكناية بالمجاز، وتعددت أقوالهم بين عدِّها حقيقة، وبين عدِّها مجازا، وبين وصفها لا حقيقة ولا مجازا "والكناية عند الجمهور ومنهم السّكّاكيّ حقيقة، وعند السّبكي قد تكون حقيقة وقد تكون مجازا، وعند القزويني ليست حقيقة لاستعمالها في غير ما وُضعت له، والحقيقة يجب أن تكون مستعملة فيما وُضعت له، وليست مجازا لأن قرينتها غير مانعة، والمجاز قرينته يجب أن تكون مانعة"[1]. وبالنظر إلى هذا الكلام فإن أبين وأظهر وجه للمفارقة بين الكناية والمجاز يتمثل في القرينة:

- ففي الكناية لا تمنع القرينة إرادة المعنى الأصلي الحقيقي المتواضع عليه مع المعنى اللازم له. ففي التركيب "فلانَةٌ بَعيدَةُ مَهْوَى القِرْطِ" لم يُمنع إيراد المعنى الأصلي (طول المسافة بين الأذن والكتف) مع لازم هذا المعنى (طول الرقبة)، فكلاهما يفهمان من التركيب ولا تعارض بينهما.
- أما في المجاز فإن القرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي الحقيقي مع المعنى المجازي المقصود. ففي قولنا مثلا "نَزَلَ الرِّزْقُ مِنَ السَّماءِ" لفظ الرزق هنا مجاز يقصد منه المطر على وجه الحقيقة، وهو الذي ينزل من السماء فيُحيي الأرض فتُنبت أكلا وثمرا للناس والأنعام مثلا، وعليه فالمعنى الحقيقي (الرزق ينزل من السماء) لا يمكن إيراده مع المعنى المقصود (المطر ينزل من السماء).

4- أنواع الكناية: تنقسم الكناية باعتبار المُكنّى عنه إلى ثلاثة أقسام هي:

4-1. كناية عن صفة: وذلك "بأن يكون المُكنّى عنه صفة لازمة للمُكنّى به"[2]، ومن أمثلة ذلك:

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 221.

2 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 158.

* قال الله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾. (الكهف: 42).

في قوله تعالى: يقلب كفيه كناية عن النَّدَم والحُزنِ، لأن تقليب الكف بالكف علامة على ذلك. وهي كناية عن صفة.

* وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾. (الفرقان: 27).

في قوله تعالى: يعض على يديه كناية عن النّدم والتّحسّر، فعض اليد أو جزء منها علامة على ذلك. وهي كناية عن صفة.

* وقالت الخنساء: (ترثي أخاها صخرا)

طَويلُ النَّجادِ، رَفيعُ العِمادِ***كَثيرُ الرَّمادِ إذا ما شَتا

طويل النجاد: كناية عن طول القامة وهي صفة، والنجاد: غمد السيف، وطوله دليل على طول السيف وصاحبه.

رفيع العماد: كناية عن الرفعة والسيادة وهي صفة، والعماد: ركيزة البيت، ورفعتها دليل البيت الكبير الذي يكون للسادة.

كثير الرماد: كناية عن الكرم والجود وهي صفة، فكثرة الرماد علامة على كثرة الطهي.

* وقال الشاعر: بيضٌ صَنائِعُنا، سودٌ وَقائِعُنا***خُضْرٌ مَرابِعُنا، حُمْرٌ مَواضينا

بيض صنائعنا: كناية عن الإحسان إلى الناس وهي صفة، فالصنيع يكون مع الناس.

سود وقائعنا: كناية عن الشجاعة في الحروب وهي صفة، والوقائع تكون في الحروب.

خضر مرابعنا: كناية عن الخير والوفاء وهي صفة.

حمر مواضينا: كناية عن كثرة قتل الأعداء وهي صفة.

4-2. كناية عن موصوف: وذلك "بأن يكون المُكنّى عنه موصوفا لازما للمُكنّى به"[1]، ومن أمثلة ذلك:

* قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾. (القمر: 13).

في قوله تعالى ذات ألواح ودسر كناية عن السفينة وهي موصوف، لأن السفينة تصنع من الألواح والدسر (المسامير).

* وقال الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾. (الزخرف: 18).

في قوله تعالى ينشأ في الحلية كناية عن النساء وهو موصوف، لأن النساء يتربَيْنَ على الحليّة والتزيّن.

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 158.

* وقال الشاعر: الضّارِبينَ بِكُلِّ أبْيَضَ مِخْذَمٍ***والطّاعِنينَ مَجامِعَ الأضْغانِ

مجامع الأضغان كناية عن القلب وهو موصوف، لأن القلوب مواطن ومجامع الأضغان والأحقاد.

* وقال الشاعر: أتَغْلِبُني ذاتُ الدَّلالِ على صَبْري؟***إذَنْ أنا أوْلى بالقِناعِ وبِالخِدْرِ

ذات دلال كناية عن المرأة وهي موصوف، لأن الدلال من طبائع المرأة.

4-3. كناية عن نسبة: وذلك "بأن يكون المُكنّى عنه نسبة لازمة للمُكنّى به، والمراد بالنسبة إثبات صفة لموصوف أو نفيها عنه"[1]، ومن أمثلة ذلك:

* قال الشاعر: تَرَى الرَّجُلَ النَّحيفَ فَتَزْدَريهِ***وفي أثْوابِهِ أسَدٌ هَصورُ

في قول الشاعر في أثوابه أسد هصور يقصد به وجود الأسد في ثوب الرجل، ولازم المعنى هنا أن يكون الرجل شجاعا، وبالتالي فقد نُسِبتِ الشجاعة إلى ثوب الرجل لا الرجل ذاته، فهي كناية عن نسبة.

* وقال الشاعر: إنَّ في ثَوْبِكَ الَّذي المَجْدُ فيهِ***لَضِياءً يُزْري بِكُلِّ ضِياءِ

في قول الشاعر في ثوبك الذي المجد فيه نسب المجد للثوب وهو يقصد ذات الممدوح هنا، فهي كناية عن نسبة.

* وقال الشاعر: سَكَنَ الثُّرَيا مُسْتَقَرُّ جَلالِهِ***ومَشَتْ مَكارِمُهُ إلى الأمْصارِ

في قول الشاعر مشت مكارمه إلى الأمصار نسب الكرم ومكارم الأخلاق إلى شخص الممدوح، فهي كناية عن نسبة.

* وقال الشاعر: أَلِفوا مُصاحَبَةَ السُّيوفِ وعُوِّدوا***أخْذَ المَعاقِلِ بالقَنا المُتَشَجِّرِ

في قول الشاعر ألفوا مصاحبة السيوف أراد أن ينسب القوة للممدوح من خلال حمل السيف، فهي كناية عن نسبة.

5- التعريض: نشير من البداية أن آراء البلاغيين قد تباينت حول العلاقة بين الكناية والتعريض "فمنهم من ذهب إلى أن الكناية والتعريض شيء واحد، ومنهم من جعل التعريض قسما من الكناية، ومنهم من ذهب إلى أن الكناية تختلف عن التعريض"[2]. والتعريض لغة خلاف التصريح، أما اصطلاحا فهو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق ومن ظرف القول. وقد رأى السكاكي أنه "متى كانت الكناية عُرضية، على ما عرفتَ، كان إطلاقي اسم التعريض عليها مناسبا"[3] سواء كانت مدحا أو ذمّا، مثل قول الله تعالى عن أبي جهل: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ (الدخان: 49)، حين قال أبو جهل: "ما بين جبليها –يعني مكة- أعزُّ منّي ولا أكرم "، فنزلت الآية الكريمة من باب التعريض به.

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 158.

2 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 227.

3 أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص 411.

ويرى ابن الأثير أن التعريض هو "اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني لمحتاج، وليس في يدي شيء، وأنا عريان والبرد قد آذاني، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازا، إنما دل عليه من طريق المفهوم"[1]. وإنما سمي التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يفهم من عُرضه، أي من جانبه، وعرض كل شيء جانبه. والتعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية وضعية لفظية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم.

وعلى هذا الأساس فإن التعريض "أن يُنسَبَ الفعل إلى شَخص والمراد غيره"[2]، بمعنى أن يُطلق الكلام على شخص ويُراد معنى آخر يُفهم من سياق الكلام ليتحدد الشخص المقصود بذلك الكلام. ففي قول الرسول ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهى اللهُ عَنْهُ»[3] تعريض بنفي صفة الإسلام عمن يؤذي المسلمين، ونفي صفة المهاجر عمن ينتهك نواهي الله تعالى.

أمثلة تدعيمية:

* قال الله تعالى: ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾. (يس: 22). والمراد هنا مالكم لا تعبدون الذي فطركم، ويقصد الكافرين، بدليل الضمير العائد في الفعل تُرجعون.

* وقال الله تعالى: ﴿**أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ**﴾. (يس: 23). والمراد أتتخذون (أنتم الكافرين) من دونه آلهة.

* وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾. (الزمر: 09).

والمراد من قوله تعالى (يتذكر أولو الألباب) التعريض بالقاسية قلوبهم الذين لا يعلمون ولا يفقهون، بدليل عقد المقارنة في الآية الكريمة.

1 ابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص 175.

2 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 161.

3 الإمام البخاري، صحيح البخاري، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ج1، ص 23. رقم الحديث 10.

المحاضرة السادسة: أثر علم البيان في تأدية المعنى

محاور المحاضرة:

1- تمهيد.

2- بلاغة التشبيه.

3- بلاغة المجاز العقلي والمرسل.

4- بلاغة الاستعارة.

5- بلاغة الكناية.

تفصيل:

1- تمهيد: إن الفائدة من علم البيان كامنة في الوقوف على أسرار كلام العرب منظومه ومنثوره، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة والبلاغة التي يصل بها إلى مرتبة عالية. ولهذا يعدّ البيان من أبلغ وسائل التعبير، وأكثرها تجسيدا للمعنى في ذهن المتلقي، ذلك أن المعنى الواحد يمكن أن يُؤدّى بصور مختلفة سواء كانت تشبيها، أو مجازا، أو استعارة، أو كناية. فها هو الشاعر في المثال الآتي يمدح رجلا بالكرم في قوله:

يُريدُ المُلوكُ مَدى جَعْفَرٍ***ولا يَصْنَعونَ كَما ما يَصْنَعُ

ولَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ في الغِنى***ولَكِنْ مَعْروفُهُ أَوْسَعُ

ففي قوله (ولا يصنعون كما يصنع) يبيّن تميّز ممدوحه عن بقية الملوك في عطاياه وهباته، ودليل ذلك قوله (ولكن معروفه أوسع)، فقد عبّر عن هذا المعنى من خلال مقارنة اعتمد فيها على التشبيه.

وشاعر آخر يُعبر عن الصفة ذاتها (الكرم) ولكن بطريقة أُخرى، إذ يقول مادحا أحدهم:

كَالبَحْرِ يَقْذِفُ لِلقَريبِ جَواهِرًا***جودًا ويَبْعَثُ لِلبَعيدِ جَواهِرا

ففي قوله (كالبحر) يشبه الممدوح بالبحر في الاتساع والجود بما يقذف من سطحه وأعماقه ليشمل كل الناس، وقوله (للقريب، للبعيد) فيما يخص الممدوح دليل على عطائه دون حدود ودون تمييز.

والخنساء تذكر هذه الصفة حين ترثي أخاها صخرا، فتقول:

طَويلُ النِّجادِ، رَفيعُ العِمادِ***كَثيرُ الرَّمادِ إذا ما شَتا

وفي قول الخنساء (كثير الرماد) دليل على كثرة الكرم والجود، لأن كثرة الرماد نتاج كثرة الطهي، وهو دليل ذلك (إذا ما شتا) أي: حلّ الشتاء، فبسبب برده يكثر الجوع ويكثر احتياج الناس للأكل.

وعلى هذا الأساس فإن تنوع صور البيان وقدرتها على حمل التعبير بوجوه متعددة هي سرّ هذا البيان. وفيما يلي نبين بلاغة صور البيان وأهم أغراضها، كل على حدة ليتضح الأمر أكثر.

2- بلاغة التشبيه: للتشبيه أغراض كثيرة ومتنوعة تلتمس من سياق الاستعمال، وتعود في غالبها إلى المشبه، ومن أشهرها:

1- بيان إمكان المشبه: إذا كان في المشبه ما يدعو إلى الغرابة، فيُؤتى له بمثل كي تزول الغرابة عن هذا المشبه وما يصاحبه من لبس أو غموض في ذهن السامع. ومن أمثلة ذلك:

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾. (آل عمران: 59).

* وقال الشاعر: قَدْ يَشيبُ الفَتى ولَيْسَ عَجيبًا***أنْ يُرى النَّوْرُ في القَضيبِ الرَّطيبِ

2- بيان حال المشبه: إذا كان المشبه مبهما غير معروف الصفة، حينها يشبه بما هو معروف لدى السامع. مثل:

* قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (يونس: 27).

* وقال الشاعر: سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدَّ جِدُّهُمُ***وفي اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

3- بيان مقدار المشبه: وهذا من حيث القوة والضعف، أو الزيادة والنقصان، أو الصفات التي تخضع للمقاييس، وتستجيب للتحديد، فيشبه بشيء معلوم المقدار محدد الحال لدى السامع. مثل:

* قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (الأنعام: 125).

* وقال الشاعر: وما المَرْءُ إلّا كَالشِّهابِ وضَوْئِهِ***يُوافي تَمامَ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغيبُ

4- تقرير حال المشبه به في ذهن السامع: إذا كان المشبه من المعاني المعنوية احتاج المتكلم إلى تشبيهه بالأمور المحسوسة الملموسة حتى يُثبت المعنى في ذهن السامع ويُقرّه. مثل:

* قال الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾. (الرعد: 14).

* وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾. (الرحمان: 37).

5- تزيين المشبه لدى السامع: وذلك لترغيبه فيه، من خلال تشبيهه بشيء حسن. مثل:

* قال الله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝22 كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾. (الواقعة: 23/22).

* وقال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ 48 كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾. (الصافات: 49/48).

6- تقبيح المشبه لدى السامع: وذلك ليرغب عنه، من خلال تشبيهه بشيء قبيح تنفره النفس. مثل:

* قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾. (الأعراف: 176).

* وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾. (الجمعة: 05).

3- بلاغة المجاز العقلي والمرسل: إن ما يميّز المجاز العقلي والمجاز المرسل هو قدرتهما على تأدية المعنى المقصود بإيجاز، فالمتكلم له من إمكانات التعبير الكثير، ولكنه من خلال المجاز يعمد إلى اختيار الوجيز البليغ في التعبير، والإيجاز والبلاغة من أخصِّ خصائص اللغة. فمثلا: * قول الشاعر: سَيَذْكُرُنِي قَوْمي إذا جَدَّ جَدُّهُمُ***وفي اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

في هذا البيت مجاز عقلي حين قول الشاعر (جَدَّ جَدُّهُمُ) أُسنِدَ الفعل (جَدَّ) إلى مصدره (جَدُّهُمُ) بمعنى: اجتهادهم، وهو ليس الفاعل الحقيقي لذلك الفعل، وإنما فاعله هو شخص مقصود؛ أي: جَدَّ فُلانٌ، وليس جَدُّهُ. لذا فالإسناد هنا مجازي، وعلاقة الإسناد هنا المصدرية، لأن الفعل (جَدَّ) أُسنِدِ إلى المصدر (جَدُّهُمُ). وبالتالي اختصر وأوجز، فبدل أن يقول: (إذا جدّ فُلان) استعمل المصدر (جدّهم) مباشرة. كما اختصر المعنى الموجود في ذهنه (احتياج قومه له في الشدائد والمحن) بمعنى موجود في الواقع (احتياج الناس لضوء القمر ليلة اكتماله في الليالي المظلمة).

* وقال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾. (يوسف: 82). ففي الآية الكريمة مجاز مرسل، إذ المعنى المذكور غير المقصود: القرية، والمعنى المحذوف المقصود: سكان القرية، أما العلاقة فهي المحلية. فقد ذكر المحل وهو القرية وقصد سكان القرية. وفي هذا إيجاز عن القول (واسأل سكان القرية).

إن المقارنة التي تتم في المجاز العقلي والمرسل لمعرفة المعنى المذكور غير المقصود، والمعنى المحذوف المقصود، وكذا تحديد العلاقة والقرينة، تظهر مهارة المتكلم في تأدية الكلام، وقدرة التخيّل والفهم لدى المتلقي، لأن المعنى يكون مُصوَّرا خير تصوير في ذهن المتكلم، وإشراك المتلقي من خلال نقل صورة المعنى إلى ذهنه يدفعه إلى إعادة التصوّر والتصوير، وهذه مهارة في حدّ ذاتها. فمثلا:

* قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. (النساء: 10). في قوله تعالى (يأكلون نارا) تعبير مجازي، لأن المقصود هنا هو أموال اليتامى المحرمة، وهي بدورها ستكون مسببا لدخول النار. فالمعنى المذكور غير المقصود: نارًا. والمعنى المحذوف المقصود: الأموالُ المحرمة، ولأن الأموال المحرمة مُسبِّب في دخول النّار لآكلي أموال اليتامى. وعليه تنبني الصورة الكلية لهذا المعنى من خلال غرض المجاز وهو التنبيه والتحذير من أكل أموال اليتامى لأنها تصبح نارا تؤكل، وللمتلقي بعد هذا التحذير قدرة التخيّل والتمثّل لها.

* وقال الله تعالى: ﴿يَا بَنِى آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. (الأعراف: 31). ففي قوله (زينتكم) تعبير مجازي، لأن المقصود هنا هو التزيّن والتعطّر حين الذهاب للمسجد. فالمعنى المذكور غير المقصود: زينتَكم. والمعنى المحذوف المقصود: الثّياب، فقد ذكر الزّينَةَ وهي حال الثّياب عند الذهاب إلى المسجد. وللمتلقي تخيّل حال الذاهب للمسجد بلباس نظيف نقي طاهر.

4- بلاغة الاستعارة: إن الاستعمال الاستعاري للغة هو الأكثر أهمية وانتشارا عندما لا تكون هنالك استجابة متوافرة أو متوخاة من الاستعمال الحقيقي للألفاظ، ولهذا تعدّ الاستعارة مثالا واضحا لتعدّد المعاني، فالكلمة تستخدم لمعنيين أو أكثر، وهذا ما يساعد الذاكرة على التوسّط في شكل العلاقة الترابطية بين الأفكار المختلفة والمتعددة، كما تساعد على التأثير في المتلقي من خلال توقع الاستجابات الممكنة لمعاني الاستعارة وأغراضها، من ذلك مثلا القدرة على الإيحاء والإيماء، والتلميح وعدم التصريح، وهذا ما ينشئ عالمين متحدين شكلا ومضمونا؛ الأول عالم الحقيقة والموجود، والثاني عالم المجاز والتخييل. فمثلا:

* قال الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. (الفاتحة: 06). ففي الآية الكريمة شُبِّه الدِّين بالصراط، أي: (الدين مثل الصراط)، لكن حذف لفظ المشبه (الدين) وصرح بلفظ المشبه به (الصراط)، من باب الاستعارة التصريحية. فالمتلقي هنا يتخيّل طريق الهداية في الدين طريقا مستقيما لا اعوجاج فيه، يشبه ما يراه في واقعه المادي الحقيقي.

* وقال الشاعر: لا تَعْجَبي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ***ضَحِكَ المشيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكى

في البيت شبه الشاعر المشيب بالإنسان، أي: (المشيب كالإنسان في الضحك)، ولكن ذكر لفظ المشبه (المشيب)، وحذف لفظ المشبه به (الإنسان) وأتى بأحد لوازمه (ضحك)، من باب الاستعارة المكنية. وفي هذا التصوير إيحاء وتلميح لصورة الشخص المبتسم الذي يظهر بياض أسنانه.

إلى جانب هذا فإن الاستعارة تنزع إلى التشخيص والتجسيد، إذ يُعدّ التشخيص من أهم الوسائل الفنية والتعبيرية التي عرفها الشعر العربي القديم خاصة، والشعر العالمي عامة. فالتشخيص يقوم على إضفاء صفات الكائن الحي، وصفات الإنسان على العالم الخارجي، ليبث فيها حياة وروحا، ويجعلها تتألم وتشعر وتحس وتنبض، وهذا هو معنى الصورة الذهنية المحسوسة، وهي غالبا ما تتعلق بالجانب الوجداني العاطفي أثناء الكلام. فمثلا:

* قال الشاعر: بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبِيبَةَ والصِّبا***ولَبِسْتُ ثَوْبَ اللَّهْوِ وَهْوَ جَدِيدُ

ففي قول الشاعر (صحبت الشبيبة والصبا، لبست ثوب اللهو) يجسد ويشخص هذا التعبير المعنوي المجرد، ويضفي عليه طابع الحياة والحركة، فالشبيبة والصبا تظهر في صورة شاب في مقتبل العمر ينبض حياة وحيوية، واللهو يظهر في شكل لباس يلازم صاحبه ويضفي عليه طابع الجمال والتألق والتأنق. وهذا هو معنى التشخيص والتجسيد في صورة المادي.

* وقال الشاعر: وإذا السِّلاحُ أضاءَ فيهِ رَأى العِدا***بَرًّا تَأَلَّقَ فيه بَحْرٌ حَديدُ

في هذا البيت وضع الشاعر السلاح في صورة المصباح الذي يضيء ويملأ الأفق بضوئه، وفيه تشخيص ونقل للمعنى الذهني المجرد في صورة المادي الملموس المرتبط بما هو واقعي.

5- بلاغة الكناية: إن الكناية في مفهومها لفظ له معنى حقيقي، يقصد من ورائه معنى آخر، هو ملزوم المعنى الأول، وهذا الانتقال من معنى أصلي إلى معنى لازم هو ما يكسب الكناية بعدا تواصليا أثناء الكلام. فالكناية تقصد إلى الإبلاغ والمبالغة من خلال القفز فوق المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود. فمثلا: قول الخنساء:

طَويلُ النِّجادِ، رَفيعُ العِمادِ***كَثيرُ الرَّمادِ إذا ما شَتا

فيه ثلاث كنايات متتابعات تصور صفات أخيها صخر؛ فطويل النجاد كناية عن طول القامة، ورفيع العماد كناية عن الرفعة والسيادة، وكثير الرماد كناية عن الكرم. ومن خلال هذا التعبير الذي له قاعدة وأساس في الواقع والحقيقة (طول غمد السيف، ارتفاع عمود البيت، كثرة الرماد) تمّ الانتقال إلى معنى ذهني مقصود لدى الخنساء وهو (طول القامة، الرفعة، الكرم)، وهذا هو معنى المبالغة والإبلاغ في الكناية. ويمكن تمثيل هذا الانتقال من خلال الشكل الآتي:

اللفظ (طويل النجاد)

⬇

المعنى الأصلي (طول غمد السيف) ⬅ طول السيف ⬅ طول قامة حامل السيف ⬅ القوة

اللفظ (رفيع العماد)

⬇

المعنى الأصلي (طول عمود البيت) ⬅ كبر البيت ⬅ البيت الكبير للسادة ⬅ السيادة

اللفظ (كثير الرماد)

⬇

المعنى الأصلي (كثرة الرماد) ⬅ كثرة اشعال النار ⬅ كثرة الطهي ⬅ الكرم

كما تكمن بلاغة الكناية في مقدرة المتكلم التعبير عن مقاصده دون أن يُكشف أمرُه، أو يُفتَضح شأنه، فيُؤاخذ بما زلَّ به لسانه، وهذا ما نجده في التعريض باعتباره نوعا من الكناية. فالمتكلم يستطيع بذلك تجنب مواقف الحرج والخدش والتعرض لما يُستهجن من الأقوال والأفعال. فمثلا: أتَغْلِبُني ذاتُ الدَّلالِ على صَبْري؟***إذَنْ أنا أوْلى بالقِناعِ وبِالخِدْرِ

ذات دلال كناية عن المرأة وهي موصوف، لأن الدلال من طبائع المرأة. فكنى عنها ولم يذكر اسمها تجنبا للحرج.

* وقال المتنبي يرثي أخت سيف الدولة:

يا أُخْتَ خَيْرِ أخٍ يا بِنْتَ خَيْرِ أبٍ***كِنايَةً بِهِما عَنْ أشْرَفِ النَّسَبِ

أجَلُّ قَدْرَكِ أنْ تُسَمَيْ مُؤَبَنَةً***ومَنْ يَصِفْكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلعَرَبِ

فلم يُسَمِّ الشاعر اسمها، واكتفى بانتسابها لخير أخ وخير أب، وهذه كناية عن سيف الدولة.

المحاضرة السابعة: المحسنات اللفظية في البلاغة العربية

محاور المحاضرة:

1- تعريف علم البديع.

2- أبواب علم البديع.

3- أشهر المحسنات اللفظية:

- **الجناس.**
- **الاقتباس.**
- **التضمين.**
- **السجع.**
- **التصريع.**

تفصيل:

1- تعريف علم البديع:

أ/ لغة: البديع لغة من الفعل بدع، وجاء في لسان العرب "بَدَعَ الشَّيْءَ يَبْدَعُهُ بَدْعًا، وابْتَدَعَهُ: أَنْشَأَهُ وبَدَأَهُ. وبَدَعَ الرَّكِيَّةَ: اسْتَنْبَطَها وأَحْدَثَها. ورَكِيٌّ بَديعٌ: حَديثَةُ الحَفْرِ (...) والبَديعُ والبِدْعُ: الشَّيْءُ الَّذي يَكونُ أَوَّلًا (...) والبَديعُ: المحْدَثُ العَجيبُ، وأَبْدَعْتُ الشَّيْءَ: اخْتَرَعْتُهُ لا عَلى مِثالٍ"[1]. وعليه فإن المعنى اللغوي للبديع يدور حول الإنشاء، والاستحداث، والاختراع.

ب/ اصطلاحا: البديع في البلاغة هو "علم تُعرف به الوجوه والمزايا التي تُكسِب الكلام حُسنا وقبولا، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح دلالته، بخلوّها من التعقيد اللغوي"[2]، لهذا فعلم البديع يُوَرِّثُ الكلام حُسْنا في شكله ومعناه، وقبولا لدى المتلقي، بعد اتّصافه بالبلاغة، ومراعاته لسياق الاستعمال، دون تكلّف أو صنعة. والغاية من دراسة البديع هي معرفة كيفيات تحسين الكلام، حتى يتناسب اللفظ مع معناه تناسبا يراعي السياق وأحوال المتكلمين والمتلقين، "فكم من فكرة رديئة أُدِّيَتْ بألفاظ خلابة، سترت ما فيها من رداءة، فمالت إليها النفوس وصدّقت بها. وكم من فكرة عظيمة عُبِّرَ عنها بألفاظ رديئة، أنْسَتْ ما فيها من عظمة، فنفرت منها الطّباع، ومجّتها الأسماع"[3]. لهذا تسمى بالمحسنات البديعية في الكلام.

2- أبواب علم البديع: تنقسم المحسنات البديعية إلى قسمين هما:

---

1 ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب وآخر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ج1، ص 342/341.

2 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار الميسرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 237.

3 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد الأئمة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 166.

أولا: المحسنات البديعية اللفظية: وهي "ما يكون المقصود الأصلي منها هو تحسين اللفظ، ولذا نجد أن المحسن اللفظي يزول بتبديل اللفظ"[1]، بمعنى أن الغاية من المحسنات اللفظية هي شكلية ترتبط بتحسين اللفظ عند الاستعمال، وإن حَسُنَ معه المعنى تبعا لهذا اللفظ، وعلامة ذلك المحسن اللفظي "أنه لو غُيِّرَ اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن"[2]. ومن هذه المحسنات اللفظية: الجناس، والاقتباس، والتضمين، والسجع، والتصريع، ورد العجز على الصدر، الترصيع، والتشطير، والتشريع، والمماثلة، ولزوم ما لا يلزم.

ثانيا: المحسنات البديعية المعنوية: وهي "ما يكون المقصود الأصلي منها هو تحسين المعنى، ولذا نجد أن المحسن المعنوي لا يتبدّل بتبديل الألفاظ"[3]، بمعنى أن الغاية من المحسنات المعنوية هي مضمون المحسن الراجع للمعنى ذاته، وإن حَسُنَ معه اللفظ شكلا، وعلامة ذلك المحسن المعنوي "أنه لو غُيِّرَ اللفظ بما يُرادفه في المعنى لم يتغيّر المحسن المعنوي المستعمل"[4]. والمحسنات المعنوية كثيرة جدا قياسا بالمحسنات اللفظية، ومنها: الطباق، والمقابلة، والتورية، وحسن التعليل، واللّف والنشر، والإرصاد، وتجاهل العارف، ومراعاة النظير، والمشاكلة، وتشابه الأطراف...

3- أشهر المحسنات اللفظية: ستقصر الدراسة فيما يأتي على أشهر أنواع المحسنات البديعية اللفظية المستعملة بكثرة في كلام العربية، وهي: الجناس، والاقتباس، والتضمين، والسجع، والتصريع.

3-1. الجناس: ويدعى أيضا: التجنيس، والتجانس، والمجانسة. وهو "اتفاق الكلمتين في اللفظ، واختلافهما في المعنى"[5]، بمعنى أن اللفظين من حيث الشكل متشابهان في النطق، لكن لكل واحد منهما معنى مختلف عن الآخر، وسبب هذه راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد. والجناس على ضربين اثنين هما:

3-1. أ/ الجناس التّام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي:

- نوع الحروف.
- عدد الحروف.
- ترتيب الحروف.
- هيئة الحروف من حيث الحركات والسكنات.

أمثلة توضيحية:

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 166.
2 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 237.
3 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 166.
4 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 237.
5 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 174.

* قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾. (الروم: 55). لفظة (السّاعة) الأولى بمعنى القيامة، ولفظة (ساعة) الثانية بمعنى مدة محددة من الزمن.

* قال الله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۖ 43 ۗ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾. (النور: 44/43). لفظة (الأبصار) الأولى بمعنى العيون، ولفظة (الأبصار) الثانية بمعنى العقول.

* وقال الشاعر: لَوْ زارَنا طَيْفُ ذاتِ الخالِ أحْيانا***ونَحْنُ في حُفَرِ الأجْداثِ أحْيانا

لفظة (أحيانا) بمعنى بعض الأوقات، ولفظة (أحيانا) الثانية بمعنى أعادنا إلى الحياة.

* وقال الشاعر: طَرَقْتُ البابَ حَتّى كَلَّ مَتْني***فَلَما كَلَّ مَتْني كَلَّمَتْني

لفظة (كلّ متني) الأولى بمعنى تعب ظهري، ولفظة (كلّمتني) الثانية بمعنى حدثتني.

3-1. ب/ الجناس غير التّام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور السابقة (نوع الحروف، وعددها، وترتيبها، وهيئتها). وهو على أقسام هي:

1. الجناس المختلف: وهو ما اختلف فيه اللفظان في نوع الحروف، بشرط ألّا يكون أكثر من حرف واحد. مثل:

* قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾. (الهمزة: 01). بين (همزة، لمزة) اختلاف في حرف واحد (الهاء، اللام).

* وقال النبي ﷺ: «الخَيْلُ مَعْقودٌ بِنواصيها الخَيْرُ والأجْرُ والمَغْنَمُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ»[1]. بين (الخيل، الخير) اختلاف في حرف واحد (اللام، الرّاء).

2. الجناس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف، وذلك بزيادة حرف في أحد اللفظين. مثل:

* قال الله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ 29 إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾. (القيامة: 30/29). بين (الساق، المساق) زيادة حرف (الميم) في (المساق).

3. **الجناس المقلوب:** وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف. مثل:

* قال الشاعر: ساقٍ يُريني قَلْبُهُ قَسْوَةً***وكُلُّ ساقٍ قَلْبُهُ قاسِ

بين (ساق، قاس) اختلاف ترتيب الحروف ذاتها.

4. **الجناس المحرّف:** وهو ما اختلف فيه اللفظان في هيئة للحروف. مثل:

---

1 أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج32، ص 98. (رقم الحديث: 19354)

* قال الشاعر: والحُسْنُ يَظْهَرُ في بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ***بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ أو بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ

بين (الشِّعر، الشَّعر) اختلاف في الهيئة الإعرابية لحرف (الشين) بالكسر في الأولى وبالفتح في الثانية.

2-3. الاقتباس: وهو "تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف من غير دلالة على أنه منهما"[1]، وهذا الأمر لا يكون الأخذ فيه إلّا من القرآن الكريم أو السنة الشريفة، مع إمكانية التغيير في النص المقتبس تغييرا بسيطا. مثل:

* قال الشاعر: نُعْمى مِنَ اللهِ اصْطَفاهُ بِفَضْلِها***واللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ

في هذا البيت ضمّن الشاعر الشطر الثاني عبارة من القرآن الكريم (واللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ) نقلا من قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾. (البقرة: 212).

* وقال الشاعر:

لا تُعادِ النَّاسَ في أوْطانِهِمْ***قَلَّما يُرْعَى غَريبُ الوَطَنْ

وإذا ما شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ***خالِقِ النَّاسَ بِخُلْقٍ حَسَنْ

في الشطر الثاني من البيت الثاني ضمّن الشاعر جزءا من الحديث النبوي الشريف، فقد قال النبي ﷺ يخاطب معاذ بن جبل: «يا مُعاذُ، أتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها، وخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[2].

3-3. التضمين: وهو "أن يُدخِلَ الشاعر أو الكاتب في شعره أو نثره أقوالا مشهورة لغيره"[3]، والفرق بين الاقتباس والتضمين راجع إلى مصدر الأخذ، فإذا كان من القرآن الكريم والحديث الشريف فهو اقتباس، وإذا كان من كلام بشر سابق فهة تضمين. ومن أمثلته:

* قال الشاعر: وقُلْ لِمَنْ لامَكَ في وَصْلِها***قَدْ أحْوَجَتْ سَمْعي إلى تُرْجُمانِ

في هذا البيت ضمّن الشاعر شطرًا من بيت شعر لعوف بن محلم السعدي حين قوله:

إنَّ الثَّمانينَ وبَلَغْتُها***قَدْ أحْوَجَتْ سَمْعي إلى تُرْجُمانِ

ويدعى **التضمين الجزئي**، لأن الشاعر ضمّن كلامه بشطر من بيت شعر.

* وقال الشاعر:

---

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 284.

2 أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج36، ص 313. (رقم الحديث: 21988)

3 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 284.

أتاني على البانِياسي مُنْشِدًا***فَيا لَكَ مِنْ شِعْرٍ ثَقيلٍ مُطَوَّلِ

مِكَرٍ مِفَرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا***كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

في هذا المثال ضمّن الشاعر بيتا كاملا لامرئ القيس يصف فرسه حين قال:

وقَدْ أغْتَدي والطَّيْرُ في وُكُناتِها***بِمُنْجَرِدٍ قَيْدَ الأوابِدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍ مِفَرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا***كَجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

ويدعى **التضمين الكلّي**، لأن الشاعر ضمّن كلامه بيتا شعريا كاملا، وليس جزءا منه.

3-4. السجع: وهو "اتفاق فواصل الكلام في الحرف الأخير، دون التقيّد بالوزن"[1]، وأفضل السجع ما تساوت فقراته، وهو أنواع على حسب التقسيم. ويتألف النص المسجوع من فقرة وفاصلة وحرف سجع، فمثلا:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ۝ 1 **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ۝ 2 **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ۝ 3﴾. (الكوثر).

كل آية من سورة الكوثر تمثل **فقرة**.

(الكوثر، انحر، الأبتر) تمثل كل لفظة **فاصلة**.

(حرف الرّاء) في نهاية الفواصل هو **حرف السجع**.

أولا: أنواع السجع بحسب الاتفاق أو الاختلاف في وزن الفاصلة والحرف الأخير: وهو أربعة أضرب هي:

1. السجع المرصّع: ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والحرف الأخير، نحو: قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ۝ 13 **وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ** ۝ 14﴾ (الانفطار). فكل لفظة في الآية الأولى تقابل لفظة في الآية الثانية على الوزن ذاته والحرف الأخير.

2. السجع المتوازي: ما اتفقت فيه اللفظة الأخيرة من الفقرة الأولى مع نظيرتها في الفقرة الثانية في الوزن والحرف الأخير، نحو: قول الله تعالى: ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ** ۝ 13 **وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ** ۝ 14﴾ (الغاشية). فالسجع بين لفظتي (مرفوعة، موضوعة)، وهما متفقتان في الوزن وفي الحرف الأخير.

3. السجع المطرَّف: ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير، نحو: قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا** ۝ 6 **وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ۝ 7﴾ (النبأ). فلفظتا (مهادا، أوتادا) اختلفتا وزنا، واتفقتا في الحرف الأخير.

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 289.

4. السجع المشطور: وهو يخص الشعر، إذ يكون لكل شطر من البيت الشعري قافيتان مغايرتان لقافية الشطر الثاني، نحو: قول الشاعر: تَدْبيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ***للهِ مُرْتَغِبٍ في الله مُرْتَقِبِ

فالشطر الأول فيه قافيتان (معتصم، منتقم) رويهما حرف (الميم)، وفي الشطر الثاني قافيتان (مرتغب، مرتقب) رويهما حرف (الباء)، وهما مغايرتان للقافيتين الواردتين في الشطر الأول. وهذا لا يكون إلّا في الشعر.

ثانيا: أنواع السجع بحسب طول أو قصر فقراته: وهو ثلاثة أضرب هي:

1. ما تساوت فقراته: ما تألف من فقرتين أو أكثر، وتساوت فيه الفقرات طولا أو قصرا، نحو: قول الله تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝**﴾ (الانفطار). ففي المثال ثلاث آيات كريمات بينها تساوٍ في الطول أو القصر.

2. ما طالت فقرته الثانية: ما تألف من فقرتين اثنتين، وكانت الفقرة الثانية أطول من الأولى، نحو: قول الله تعالى: ﴿**جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝**﴾ (النبأ). فالفقرة الثانية (الآية الثانية) أطول من الفقرة الثانية.

3. ما طالت فقرته الثالثة: ما تألف من ثلاث فقرات، وكانت فقرته الثالثة أطول من الفقرتين الأولى والثانية، نحو: قول الله تعالى: ﴿**إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝**﴾ (الشمس). الفقرة الثالثة (الآية الثالثة) أطول الفقرات.

3-5. التصريع: هو "توافق نهايتي الشطرين في بيت الشعر الواحد (المصراعين) في قافية متشابهة"[1]، وهذا ما نجده غالبا في مطالع القصائد ليدلّ على روي القصيدة وعلى قافيتها من الشطر الأول، وغايته تقوية حرف النغم. ومثال ذلك:

* قال امرئ القيس:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ***بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

* وقال المتنبي:

عيدٌ بِأيَّةِ حالٍ عُدْتَ يا عيدُ***بِما مَضى أمْ بِأمْرٍ فيكَ تَجْديدُ

* وقال الشافعي:

دَعِ الأيّامَ تَفْعَلُ ما تَشاءُ***وطِبْ نَفْسًا إذا حَكَمَ القَضاءُ

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 292.

المحاضرة الثامنة: المحسنات المعنوية في البلاغة العربية

محاور المحاضرة:

1- أشهر المحسنات المعنوية:

- ❖ **الطباق.**
- ❖ **المقابلة.**
- ❖ **التورية.**
- ❖ **حسن التعليل.**
- ❖ **الإرصاد.**

تفصيل:

1- أشهر المحسنات المعنوية: كما ذكرنا سابقا، إن الغاية من المحسنات المعنوية هي مضمون المحسن الراجع للمعنى ذاته، وإن حَسُنَ معه اللفظ شكلا، وعلامة ذلك المحسن المعنوي أن تغيير لفظ ذلك المحسن بما يرادفه لا يغيّر شيئا من استعماله. وستقصر الدراسة فيما يأتي على أشهر أنواع المحسنات البديعية المعنوية المستعملة بكثرة في كلام العربية، وهي: الطباق، والمقابلة، والتورية، وحسن التعليل، والإرصاد.

1-1. الطباق: وله مسميات أخرى منها: المطابقة، والتّطبيق، والتّضادّ، والتّكافؤ. وهو "الجمع بين الشيء وضده في كلام واحد"[1]، بمعنى أن يؤتى باللفظ وما يضاد معنى هذا اللفظ في تركيب واحد، وغايته توضيح المعنى، لأن الأشياء قد تعرف بضدها، وقد يكون الطباق بين اسمين، أو فعلين، أو اسم وفعل، أو حرفين. وهو نوعان هما:

1-1.أ/ **طباق الإيجاب:** وهو ما اتفق فيه الضدان إيجابًا وسَلبًا، مثل:

* قال الله تعالى: ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ (الكهف: 18). أيقاظ ضدها رقود. (تضاد بين اسمين).

* وقال الله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (آل عمران: 26). تؤتي ضده تنزع، تعزّ ضده تذلّ. (تضاد بين فعلين).

* وقال الله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ (الأنعام: 122). ميتا ضدها أحييناه. (تضاد بين اسم وفعل).

* وقال الله تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ (البقرة: 228). لهن ضد عليهن. (تضاد بين حرفين).

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد الأئمة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 168.

1-2. **ب/ طباق السَّلب**: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابًا وسَلبًا، فيذكر الأول مُثبتا في معناه، والثاني نفي للأول، مثل:

* قال الله تعالى: ﴿**إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ (المائدة: 116). بين تعلم ولا أعلم تضاد، وهو طباق السلب، فقد ذكر الفعل مثبتا ثمّ منفيا بـ (لا).

* وقال الله تعالى: ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا**﴾ (النساء: 108). طباق السلب بين يستخفون ولا يستخفون.

* وقال الله تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (الأعراف: 03). طباق السلب بين اتّبعوا ولا تتَّبعوا.

* وقال الشاعر: وَنُنْكِرُ إنْ شِئْنا عَلى النَّاسِ قَوْلَهُمْ***ولا يُنْكِرونَ القَوْلَ حينَ نَقولُ

طباق السلب بين ننكر ولا ينكرون.

2-1. المقابلة: هي "أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثمّ يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب"[1]، فالمقابلة هي طباق في الأصل، إلّا أنه في الطباق يكون التضاد بين معنى لفظين اثنين لا أكثر، بينما في المقابلة يكون التضاد في معنيين أو أكثر، ولهذا فالمقابلة أشمل وأوسع من الطباق. ومن أمثلتها:

* قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ (التوبة: 82). المقابلة بين (يضحكوا قليلا) و(يبكوا كثيرا)، والملاحظ هو المقابلة بين ألفاظ الجملتين على الترتيب ذاته.

* وقال الله تعالى: ﴿**لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (الحديد: 23). المقابلة بين (لا تأسوا على ما فاتكم) و(لا تفرحوا بما أتاكم)، والملاحظ هو المقابلة بين ألفاظ الجملتين على الترتيب ذاته.

* وقال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ (الأعراف: 157). توجد في الآية الكريمة مقابلتان: الأولى بين (يأمرهم بالمعروف) و(ينهاهم عن المنكر)، والثانية بين (يحل لهم الطيبات) و(يحرم عليهم الخبائث). وترتيب الألفاظ المتقابلة دائما هو الترتيب ذاته.

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 168.

* وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى 5 وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى 6 فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى 7 وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى 8 وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى 9 فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى 10﴾ (الليل). المقابلة في الآية الكريمة بين الآيات الخامسة والسادسة والسابعة وبين الثامنة والتاسعة والعاشرة، كل آية كريمة في طرف تقابل آية كريمة في الطرف الآخر، بالترتيب ذاته.

* وقال الشاعر: عَلى رَأْسِ عَبْدٍ تاجُ عِزٍّ يُزِينُهُ***وفي رَجُلٍ حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يُشينُهُ

المقابلة في البيت الشعري جاءت بين الشطر الأول والثاني منه، وترتيب الألفاظ المتقابلة بينهما على الترتيب ذاته.

* وقال الشاعر: وباسِطُ خَيْرٍ فيكُمُ بِيَمينِهِ***وقابِضُ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشِمالِهِ

المقابلة في البيت الشعري جاءت بين الشطر الأول والثاني منه، وترتيب الألفاظ المتقابلة بينهما على الترتيب ذاته.

1-3. التورية: التورية في معناها اللغوي هي الستر والإخفاء. أما في الاصطلاح فهي "أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان؛ أحدهما قريب غير مقصود، ودلالة اللفظ عليه واضحة. والآخر بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفية"[1]، والسامع في هذه الحال يعتقد أن المتكلم يقصد المعنى القريب (المُوَرَّى به) الذي تلفظ به المتكلم، بينما المقصود هو المعنى البعيد (المُوَرَّى عنه)، وهذا هو معنى الستر والإخفاء. والتورية تحتاج إلى قرينة تشير إلى ذلك المعنى الخفي، ولا يستطيع كشفها في الغالب إلّا الإنسان الفطن المتتبع لمقاصد المتكلم، والعارف بأحوال الخطاب وما يصاحبه من ملابسات.

مثال توضيحي:

* قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف: 42). التورية في لفظة (ربّه) لأن لها معنيان هما:

- المعنى القريب غير المقصود (المُوَرَّى به): الله عزّ وجلّ.
- المعنى البعيد المقصود (المُوَرَّى عنه): المَلِكُ.

* وقال الشاعر: (يذمّ أحدهم)

وصاحِبٍ لَمّا أتاهُ الغِنى***تاهَ ونَفْسُ المرْءِ طَمّاحَه

وقيلَ: هَلْ أبْصَرْتَ مِنْهُ يَدًا***تَشْكُرُها؟ قُلْتُ: ولا راحَه

التورية في لفظة (راحة) لأن لها معنيان هما:

- المعنى القريب غير المقصود (المُوَرَّى به): كفُّ اليدِ.
- المعنى البعيد المقصود (المُوَرَّى عنه): ضد التَّعَبِ.

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار الميسرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 238.

وتنقسم التورية إلى قسمين هما:

أولا: التورية المجرّدة: هي التي لم يُذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب (المُوَرَّى به)، ولا لازم من لوازم المعنى البعيد (المُوَرَّى عنه). ومثال ذلك:

* قال الله تعالى: ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ**﴾ (الواقعة: 17). التورية في لفظة (مخلّدون) لأن لها معنيان هما:

- المعنى القريب غير المقصود (المُوَرَّى به): دائمون ومستمرون.
- المعنى البعيد المقصود (المُوَرَّى عنه): مُحَلَّوْنَ ومُزَيَّنونَ بِالخَلَدَةِ وهي القُرْطُ (حلقة تجعل في الأذن). ولم يرد في الآية الكريمة ما يُلائم المعنى القريب أو البعيد، فهي تورية مجرّدة.

* وقال الله تعالى: ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﷺ 94 قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﷺ 95**﴾ (يوسف). التورية في لفظة (ضلالك) لأن لها معنيان هما:

- المعنى القريب غير المقصود (المُوَرَّى به): أوهام عودة يوسف إليه من جديد.
- المعنى البعيد المقصود (المُوَرَّى عنه): إيثاره ليوسف على بقية إخوته. ولم يرد في الآية الكريمة ما يُلائم المعنى القريب أو البعيد، فهي تورية مجرّدة.

ثانيا: التورية المرشّحة: هي التي يُذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب (المُوَرَّى به)، ولفظ الترشيح قد يرد قبل لفظ التورية أو بعده. ومثال ذلك:

* قال الله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ (الذاريات: 47). التورية في لفظة (أيدٍ) لأن لها معنيان هما:

- المعنى القريب غير المقصود (المُوَرَّى به): عضو الجسم. وقد ذكر ما يلازمه (البنيان) من جهة الترشيح.
- المعنى البعيد المقصود (المُوَرَّى عنه): القوة وعظمة الله تعالى. وهي تورية مرشّحة.

* وقال الشاعر: حَمَلْناهُمْ طُرًّا عَلى الدُّهْمِ بَعْدَما***خَلَعْنا عَلَيْهِمْ بِالطِّعانِ مَلابِسا

التورية في لفظة (الدُّهْمُ) لأن لها معنيان هما:

- المعنى القريب غير المقصود (المُوَرَّى به): الخيول السّوداء. وقد ذكر ما يلازمه (حملناهم) من جهة الترشيح.
- المعنى البعيد المقصود (المُوَرَّى عنه): القيود الحديدية. وهي تورية مرشّحة.

1-4. حسن التعليل: وهو "أن ينكر الأديب صراحة أو ضمنا علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض الذي يرمي إليه"[1]، بمعنى أنه يخالف المألوف المتعارف عليه، ويغيّر من حقيقته بطريقة طريفة تبيّن مقصده من ذلك. نحو:

1 يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 250.

* قال المتنبي: (يمدح أحد المتصوّفين) ولَمْ يَحْكِ نائِلَكَ السَّحابُ وإنَّما***حُمَّتْ بِهِ فَصَبيبُها الرَّحَضاءُ

فالشاعر يرى أن السحاب أقل عطاء من عطاء ممدوحه، وهذا ما سبب للسحاب خجلا وحُمّى أمام ممدوحه، وأن ما ينزل من مطر هو الرّحضاء (العرق) بسبب الخجل والحمّى.

* وقال الشاعر: (يُعلّل عدم نزول المطر بأرض مصر، وبطء جريان نهر النيل)

ما قّصَّرَ الغَيْثُ عَنْ مِصْرَ وتُرْبَتِها***طَبْعًا، ولَكِنْ تَعَدّاكُمْ مِنَ الخَجَلِ

ولا جَرى النّيلُ إلّا وَهْوَ مُعْتَرِفٌ***بِسَبْقِكُمْ، فَلِذا يَجْري عَلى مَهَلِ

الشاعر يرى أن علّة نزول المطر كان بسبب خجله من الممدوح، وعلّة بطء نهر النيل راجع إلى أن الممدوح سابق له.

* وقال الشاعر: (يمدح أحدهم) لا يَطْلُعُ البَدْرُ إلّا مِنْ تَشَوُّقِهِ***إلَيْكَ، حَتّى يُوافي وَجْهَكَ النَّضِرا

الشاعر ينكر السبب الفلكي المعروف لطلوع القمر، ويرى أنه إنما يطلع شوقا إلى الممدوح، ورغبة في رؤية وجهه الحسن.

* وقال الشاعر: (يمدح أحدهم) أمّا ذُكاءُ فَلَمْ تَصْفَرَّ إذْ جَنَحَتْ***إلّا لِفُرْقَةِ ذاكَ المَنْظَرِ الحَسَنِ

الشاعر يرى أن الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب الفلكي، وإنما اصفرّت مخافة أن تفارق وجه الممدوح.

1-5. الإرصاد: وهو "أن يذكر قبل انتهاء الفاصلة من الفقرة، أو القافية من البيت، ما يدل عليها إذا عرف الروي"[1]، بمعنى أن السامع ببديهته، ومن خلال سياق الكلام يدرك ما ينتهي به الكلام. ومن أمثلة ذلك:

* قال الله تعالى: ﴿**فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ (الروم: 09). إذا وقف المتكلم أو القارئ للآية الكريمة عند قوله (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم)، توقع السامع إتمامها بـ (يظلمون).

* وقال الله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾ (ق: 39). إذا وقف المتكلم أو القارئ للآية الكريمة عند قوله (سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل)، توقع السامع إتمامها بـ (الغروب).

* وقال الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ (العنكبوت: 41). إذا وقف المتكلم أو القارئ للآية الكريمة عند قوله (وإن أوهن البيوت)، توقع السامع إتمامها بـ (لبيت العنكبوت).

1 معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، ص 170.

المحاضرة التاسعة: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول

محاور المحاضرة:

1- تمهيد.

2- التخييل والتداول في مسار البلاغة العربية.

3- التوجّه الحجاجي المنطقي:

أولا: تطور الحجاج عند العرب.

ثانيا: تطور الحجاج عند الغرب.

ثالثا: تعريف الحجاج.

تفصيل:

1- تمهيد: يقول حازم القرطاجني "وكيف يظن إنسان أنّ صناعة البلاغة يتأتّى تحصيلها في الزمن القريب. وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها، وإنما يبلغ الإنسان منها ما في قوته أن يبلغه"[1]، وقد شبه من يظن إمكان تحصيل البلاغة والاستفادة منها في وقت وجيز، بحال الرجل الذي قضى ليلته في تصفح كتب الطب، ثم أصبح وهو يحرر وصفة طبية لإسعاف صديقه المريض، فعجّل بنهايته. إن بوسع إنسان ذكي –كما قال- أن يحصل بالاجتهاد في علم من العلوم، خلال شهر أو عام، شيئا يعتدّ به في ذلك العلم، وليس ذلك ممكنا في علم البلاغة؛ "إذ أكثر ما يستحسن ويستقبح في علم البلاغة له اعتبارات شتى بحسب المواضع، فقد يحسن في موضع ما يقبح في موضع، ويقبح في موضع ما يحسن في موضع"[2]، فالبلاغة علم كلي، يقتضي ضبطه الإحاطة بعلوم اللسان وعلوم الإنسان المختلفة المتدخلة في تكوين الذات المنتجة للخطاب.

ويقول الدكتور محمد العمري: "ولا تطرح كلمة البلاغة في السياق العربي إشكالا في كونها علم الخطاب الاجتماعي بنوعييه التخييلي والتداولي، وذلك نتيجة الدمج الذي مارسه في المرحلة الثانية من تاريخ البلاغة العربية كل من عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، ثم السكاكي وحازم القرطاجني، وذلك بعد المحاولة التلفيقية التي قام بها العسكري في كتاب (الصناعتين)"[3]. فبالرغم مما أدت إليه هذه العملية من إقصاء واختزال أحيانا، ومن تحويل المركز أحيانا أخرى (من التخييل إلى التداول خاصة)، فقد ظل شعار الوحدة البلاغية مرفوعا.

---

1 أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، 1981، ص 88.

2 م ن، ص ن.

3 محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012، ص 11.

وبالنظر إلى الموروث الغربي، فإن كلمة (البلاغة) بتسميتها العربية تقابل (ريطوريك Rhétorique) التي تدور حول ثلاثة مفاهيم كبرى، هي:

1-المفهوم الأرسطي: وهو متعلق بمجال الإقناع وآلياته في الخطابة، وهي بهذا المفهوم تقابل (بُوييتيك Poétique) التي تُعنى وتهتم بالخطاب المحاكي المخيل أي الشعر حصرا. وهذا هو المفهوم الذي أعاد (بيرلمان) وآخرون صياغته في اتجاه بناء نموذج منطقي للإقناع[1].

2-المفهوم الأدبي: وهو مجال الاهتمام بالأسلوب، "وهذا المفهوم رسم (رولان بارث) خطوطه العامة في محاضراته المشهورة عن تاريخ البلاغة القديمة"[2]. ثم أعيدت صياغة هذا المفهوم تحت مسمى البلاغة العامة.

3-المفهوم النسقي: وهو ما جعل البلاغة "علما أعلى يشمل التخييل والحجاج معا، أي يستوعب المفهومين الأولين من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها، موسعا هذه المنطقة أقصى ما يمكن التوسيع"[3]. وهو ما أدى إلى ربط البلاغة بين المجالين التخييلي والتداولي، من خلال تجاذب الأدب والفلسفة والمنطق.

والحديث عن علم للتخييل والتداول باعتبارهما خطابين يتجهان نحو قطبين متباعدين يقتضي بيان العنصر الجوهري الذي يجمعهما، ومدى الإنتاجية الإضافية المترتبة عن الجمع، فضلا عن الحاجة إلى ضبط الحدود مع الجوار المعرفي (المنطق والفلسفة واللسانيات). ولا يختلف المدافعون عن النسق البلاغي العام مع المرتابين في إمكانية قيامه في أن التخييل والتداول (أو الحجاج بشكل أدق)، يلتقيان في أنهما خطابان قائمان على الاحتمال؛ الاحتمال توهيما أو ترجيحا، التوهيم في التخييل والترجيح في التداول الحجاجي.

2- التخييل والتداول في مسار البلاغة العربية:

إن أول تفكير في اللغة كان تفكيرا بلاغيا، فقد ظهرت الملاحظات الأسلوبية قبل ظهور العروض والنحو والمنطق، كما روي من تاريخ تلقي الشعر العربي في عصر الجاهلية وصدر الإسلام، أي قبل ظهور المصطلح البلاغي كنسق لعلم. وكان من مظاهر هذا التفكير ربط الشعر بالعوالم غير العادية: بالجن والشياطين، والتنبيه إلى العيوب الإيقاعية والحجاجية فيه. وكانت هذه الملاحظات هي المصدر الأول للبلاغة العربية حيث جُمعت لاحقا تحت اسم البديع ومحاسن الكلام. وقد تطور هذا المسار من خلال الخصومات حول ما هو بديع وما ليس كذلك. أما المسار الثاني فكان لاحقا بالأول، حيث ارتبط بتقعيد اللغة من جهة وبيان الانسجام الخطابي للنص القرآني، وما أثير حول ذلك من إشكالات اقتضى التحاور حولها الاستعانة بالمنطق اليوناني والبلاغة الأرسطية.

---

1 محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 12.

2 م ن، ص ن.

3 م ن، ص ن.

ففي هذا السياق الفكري اللغوي المنطقي ظهر الطموح إلى صياغة نظرية عامة للفهم والإفهام أو للبيان والتبيين، وهذا هو الصدر الثاني الكبير للبلاغة العربية الذي ظهر الجاحظ رائدا فيه، وهو الذي انتبه إلى أن اللغوي لا يستطيع مهما أوتي من معرفة أن يحاجج في مجال الإقناع حول المسائل الدينية ما لم يستعن بعلم الكلام. وعلم الكلام هو علم الحجاج العقلي في المجال الديني، وهو مركز التأويل القادر على ردم الهوة بين مستويات الخطاب في الحقيقة والمجاز، وكان من ثمار هذا التوجه ظهور علم المناظرة والجدال. وعلى هذا فللبلاغة العربية مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين: مسار البديع يغذيه الشعر، ومسار البيان تغذيه الخطابة. ونظرا للتداخل الكبير بين الشعر والخطابة في التراث العربي، فقد ظل المساران متداخلين وملتبسين رغم الجهود الكبيرة التي ساهم بها الفلاسفة وهم يقرؤون بلاغة أرسطو وشعريته.

إلا أن النموذج الأمثل كان عند عبد القاهر الجرجاني من خلال استحضار النص القرآني، إذ جعله يقلص التخييل إلى درجة تفقده معناه المولد لكل الصور، خلاف ما عليه حال المحاكاة التي جاء منها، بل جعله يستأنف المسيرة في كتاب الدلائل من منطلق مغاير هو منطلق النحو (النظم)، ويحيل كل ما اعتبره أسرار بلاغة إلى عنصر مساعد أو مشارك في أقصى الأحوال. لقد انتقل الجرجاني من الغرابة الشعرية (أي من التخييل) إلى المناسبة المقامية أو السياقية (أي إلى تداولية لسانية)، وهذا ما فعله أيضا السكاكي، إذ جعل مركز البلاغة في التراكيب والمقاصد (علم المعاني) وامتدادها في التحويلات الدلالية (علم البيان)، وجعل ما أقصاه الجرجاني (الأصوات) أو أهمله (المقابلات الدلالية) في هامش البلاغة (علم البديع).

لقد بذل الفلاسفة العرب في إطار قراءتهم لعمل أرسطو في الشعر والخطابة جهدا محمودا لبيان الخصوصية الشعرية (التخييل) والخصوصية الخطابية (التصديق)، وما بينهما من التداخل والتخارج، غير أن هيمنة الخلفيات الدينية وتراجع الحضارة الإسلامية حلا دون استثمار هذا التراث في مجال البلاغة تنظيرا وتطبيقا. ولعل المحاولة التنظيرية الوحيدة الجادة في هذا المجال هي التي بذلها حازم القرطاجني، بالرغم من أن محاولته ظلت في حاجة إلى كثير من التهذيب والتكميل والتمثيل، الشيء الذي لم يكن ممكنا في ذلك المسار الحضاري المتردي.

3- التوجّه الحجاجي المنطقي:

لقد أضحى الحجاج في حاضرنا مجالا واسعا للبحث والدارسة، وهذا راجع لارتباطه بالكثير من العلوم اللغوية والعقلية، بما فيها الفلسفة والمنطق واللسانيات. وقد كان للبلاغة الدور الكبير في إبراز حقيقة الحجاج وأهميته في المواقف التواصلية، فالبلاغة ترتكز على جانبين اثنين في الخطاب؛ أولهما البيان، وثانيهما الحجاج، بهدف إقناع المرسل إليه، وتوجيهه إلى فعل معين. وقد سعى الدارسون في العصر الحديث إلى تأسيس نظرية خاصة بالحجاج، تستمد حدودها ووظائفها "من مرجعية خطابية محدّدة، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية"[1]، وهذه المرجعية الخطابية كانت سببا في تنوّع مضامين الحجاج، ولهذا نجد "حجاجا خطابيا (لسانيا)، وحجاجا خطابيا (بلاغيا)، وآخر

1 حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي-عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر2001، عدد01، مجلد30، ص 98 .

قضائيا أو سياسيا أو فلسفيا "[1]. ومن هذا التعدّد كثرت التعريفات حول مفهوم الحجاج، فقد "دارت حول عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى"[2]، ولغاية الوصول إلى تعريف موّحد نشير إلى مراحل تطور هذا المفهوم لدى العرب ولدى الغربيين.

أولا: تطور الحجاج عند العرب:

ورد مفهوم الحجاج عند العرب قديما بتسميات مختلفة تعود أساسا إلى منطلقات وتوجّهات أصحابها الذين اهتموا بهذا المجال نظرا لارتباطه الوثيق بالكلام، فقد قسّموا الكلام إلى وجوه، وراعوا في ذلك مطابقته لسياق استعماله، وتناسبه مع متلقيه "فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تقسّم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب"[3]. ولكي تتحقق هذه الفائدة وتتم تلك المنفعة وجب تطابق الكلام مع طبيعة المتلقي، وتناسبه مع سياقه التواصلي، وهو ما يعرف في البلاغة العربية بمقتضى الحال أو مطابقة الحال.

وبالنظر إلى كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ (ت 255 هـ)، نجد أن مفهوم الحجاج عنده يطابق البيان، فهو يرى أن "مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغتَ الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[4]، فالفهم والإفهام شرط –عند الجاحظ– لتحقيق غاية الخطاب، وهي اقتناع المرسل إليه بمقاصد المرسل، مما يجعل البيان ذا معنيين هما الإفهام والإقناع.

ومن جهة أخرى فإن ابن وهب (ت 335 هـ) يربط مفهوم الحجاج والاحتجاج بالجدل، ويجعله متعلقا بنوع من أنواع النثر، "فأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة أو ترسّلا أو احتجاجا أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه"[5]، وقد وضع ابن وهب تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة، "فأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجّة فيما اختُلِف فيه من اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب، والديانات، وفي الحقوق، والخصومات، والتسوّل في الاعتذارات "[6]. وعليه فالجدل –عنده– خطاب تعليلي إقناعي يعتمد على وضع الاحتجاج في مواضعه، لأن الاحتجاج يكون "على من زاغ من أهل الأطراف"[7].

أما حازم القرطاجني (ت 684 هـ) فإنه يرى أن الحجاج وسيلة من وسائل الجدل ووجه من أوجه الكلام، فالبلاغة تقوم عنده على أساسين هما: صناعة الشعر وصناعة الخطابة، وترتكز –عنده– صناعة الشعر على التخييل في مقابل ارتكاز صناعة الخطابة على الاحتجاج والاستدلال "فلما كان كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار

---

1 م ن، ص ن.

2 محمد العبد، النص الحجاجي العربي–دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002، عدد60، ص 44.

3 أبو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: على البجاوي ومحمد إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1952، ص 39.

4 الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط02، 1992، ص 82.

5 ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، العراق،1967، ص 150.

6 م ن، ص 176.

7 ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 150.

أو الاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال"[1]، وبالتالي فإن إقناع الخصم يكون بإحدى الوسيلتين: الاحتجاج أو الاستدلال.

وعموما فإن ما يمكن أن يقال عن نظرة العرب القدامى لمفهوم الحجاج لا يخرج عن دائرة الجدل والمناظرة، ودورهما في التأثير وإقناع الخصم بالأدلة والحجج، مع ارتباطهما بفن الخطابة بنوعيها: خطابة الجدل والمناظرة والخطابة التعليمية، وقد كانت "خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء المِلل والنِّحل، وفيما بين النحاة والمناطق، وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين. والخطابة التعليمية متمثلة في الدروس التي كان يلقيها العلماء في مختلف العلوم آنذاك"[2].

ثانيا: تطور الحجاج عند الغرب:

ارتبط الحجاج عند أرسطو قديما بفني الجدل والخطابة، وقد ربط بين خاصية الكلام وبين الإقناع، ففي رأيه أن المرسل يسعى إلى إقناع المرسل إليه اعتمادا على تعبير مقصود لذاته "فالإنسان لأنه متكلم معبِّر يبحث بطبعه عن الإقناع، ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير الذي حوبي به من الطبيعة"[3]. كما يعدّ الحجاج وفق هذا الاعتبار حجاجا جدليا وحجاجا خطابيا، فالحجاج الجدلي قائم على المناقشة النظرية الصرفة التي تهدف إلى الإقناع العقلي المجرد، أما الحجاج الخطابي فهو حجاج مؤسس على ظروف معينة وسياقات خاصة، قصد إثارة مشاعر وانفعالات جمهور معين بحدّ ذاته، فالناس "يلجؤون للخطابة والجدل بدرجات متفاوتة، وكل إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجة من الحجج أو يدعمها"[4].

يرى رولان بارث R. Barthes أن الحجاج آلية بلاغية، منتهجا في ذلك النظرة الأرسطية لمفهومي الخطابة والجدل، إلا أنه عرض نظرته تلك بمصطلحات جديدة، وهو ما ذكره في كتابه الموسوم بـ: (قراءة جديدة للبلاغة القديمة)، فقد أطلق مصطلح الابتكار في مقابل المحاججة، أو ما يرى أنه ابتكار الحجة الذي يقوم على تقنية منهجية حجاجية داخل الخطاب، وتقوم هذه التقنية على عاملين اثنين؛ أولهما منطقي في ربط المقدمات بالنتائج، وثانيهما نفسي يرمي إلي إقناع المرسل إليه والتأثير في معتقداته، وهذا الإقناع يعتمد آلية منطقية أو شبه منطقية هي تصديق الأدلة والحجج، لإحداث ردّة فعل تتناسب مع ذهن المتلقي لتحقيق مقاصد الحجاج[5].

ثالثا: تعريف الحجاج:

من خلال العرض السابق لمفهوم الحجاج، سواء عند العرب أو عند الغرب قديما وحديثا، يمكن الوصول إلى مقاربة مفاهيمية ترصد تعريفا شاملا وجامعا للحجاج فهو استراتيجية لغوية تكتسب أبعادها من الأحوال المصاحبة للخطاب،

---

1 حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 63.

2 جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص 126.

3 أرسطوطاليس، كتاب الخطابة، ترجمة إبراهيم سلامة، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط02، 1953، ص 24.

4 م ن، ص 75.

5 رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، ط01، 1994، ص 50.

على اعتبار أن اللغة "نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق"[1]، فالمتكلم (المرسل) أثناء العملية التخاطبية ينقل تصوراته ومدركاته الموجودة في واقعه إلى المستمع (المرسل إليه)، قاصدا بذلك التبليغ أو الإخبار أو التأثير في هذا المرسل إليه. وبالتالي يعمد المرسل إلى إقناع الطرف الآخر، أو التغيير في بعض معارفه وأفكاره، وبخاصة ما يظهر فيها اختلاف بينهما، فيستعمل خطابا حجاجيا لتلك الغاية؛ "فالحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية، وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق"[2]، هذا التلازم هو الموجّه الأساس لكل هدف من أهداف التواصل، مما يترتب عن ذلك أن كل خطاب موجّه إلى الطرف الآخر "ويهدف إلى الإقناع، يكون له بالضرورة بعد حجاجي"[3]. وبهذا التوجه تقترب نظرية الحجاج الحديثة من مبحث الجدل أكثر من قربها من مبحث البلاغة ببعديها الشعري والتداولي، وذلك بالرغم من اختيار الانتماء لما سمي بلاغة جديدة.

1 عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2003، ص 120.

2 حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص 100.

3 الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم (سورة النحل نموذجا)، مجلة اللغة والآداب، جامعة الجزائر، ديسمبر1997، عدد 12، ص 330.

المحاضرة العاشرة: البلاغة والأسلوبية

محاور المحاضرة:

1- تمهيد.

2- الأسلوبية.

3- علم الأسلوب واتجاهاته.

4- بين البلاغة والأسلوبية.

تفصيل:

1- تمهيد: إن التطور الفكري الحديث قد أفرز جدلية بارزة بين تيارين فكريين متضادين، هما: الأصالة والمعاصرة، وهما "تياران لم تخل منهما مجالات الفكر النقدي والأدبي على المستوى الإنساني كله، ولقد قامت حولهما دراسات موسعة مستفيضة أثمرت فيضا من النظريات والاتجاهات التي أثرت الحركة النقدية والأدبية في الغرب الحديث، ولا نزال ننتظر لها هذا الثراء في فكرنا النقدي والأدبي الحديث أيضا"[1]. علما أن بين هذين التيارين مبادرة لها أهميتها في الإقدام على الدراسات الغربية الحديثة تأخذ منها منهجها العلمي في إطار معتدل، لا ينغلق على القديم، ولا يتعصب للجديد، وإنما يقود حركة النقد الجديد بما استقاه من هذه المناهج العلمية، ويلائمه مع ما يراه خصبا ثري العطاء في التراث القديم.

والمتأمل في مقومات الحداثة يدرك قيامها على تلاحم بين ظاهر العمل الأدبي وباطنه، وهذا التلاحم هو الذي أتاح للأدب أن ينفتح على المجتمع، كما أتاح له أن يرتبط بعملية الاتصال في مستوياتها الثلاثة: المبدع والمتلقي والنص[2]. إن البحث في مستويات الاتصال السابقة يقود إلى القول بأهمية البحث في كل مستوى منها وصلته بالإبداع والخلق، ومن هنا تحتم أن تأخذ نظرية الأسلوب مكانها ضمن تيارات النقد الحديث، هذه النظرية تناوش الأدب وتستخرج ما فيه من خواص، وترصد ما فيه من سمات، بحيث يتمكن من معايشة العصر وروحه، مفيدة في كل ذلك من البعد التاريخي للبحث اللغوي الذي اتصل بالنظر الأدبي في مجال النحو والبلاغة، أو في مجال النقد الخالص.

ولقد استقرت اليوم نظرية الأسلوب، أو مباحث الأسلوبية كمعطى جديد للدراسة النقدية، تقدمه الممارسات العملية والتطبيقية وتعمقه أصالة البحث النظري. ومما يثير الانتباه "أن هذا التيار الأسلوبي كان يشق طريقه بين الشكوك المتزايدة في جدواه، بل وفي شرعية وجوده، وبين ترحيب بمقدمه أملا في العثور على عطاء جديد في الأدب من خلال صورته الأسلوبية"[3]. غير أن هذا الترحيب كانت تخالطه كثير من مشاعر الخوف والتوجس عندما كانت الدراسة الأسلوبية

---

1 محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة العالمية المصرية للنشر، مصر، ط1، 1994، ص 168.

2 م ن، ص 169.

3 م ن، ص 170.

تتحول إلى قواعد تعليمية، لها جفاف البحث البلاغي في مرحلة جموده، أو عندما تتحول إلى أشكال ضبابية لا تفرز قيمة فنية، أو عندما تتحول إلى عملية إحصاء ميتة تقدم النص الأدبي في شكل بعيد عن أدبيته، وتصله بما هو غريب عليه وبعيد عنه. وبالنظر إلى الدرس البلاغي القديم وحركة النقد التي ظهرت معه يمكن أن نجد "ما يقربه أو بمعنى آخر يصله بحركة الدرس الأسلوبي"[1]، من خلال التمازج الحاصل بين النقد والبلاغة والنحو، فقد أضحى النحو وسيلة تقويم الأسلوب، وأصبحت البلاغة تحدد معايير خروج هذا الأسلوب عن غرضه الحقيقي إلى أغراض فرعية (مجازية)، يتدخل المقام في تحديدها. وعلى هذا الأساس فقد وقفت البلاغة والنقد على جوانب البحث الأسلوبي في غالب الأحيان[2].

2- الأسلوبية: ظهرت كلمة (الأسلوب) في التراث العربي القديم على نحو ربطت فيه بين مدلول اللفظة وطرق العرب في أداء المعنى، أو بينه وبين النوع الأدبي وطرق صياغته، كما أنها ربطت أحيانا بينه وبين شخصية المبدع ومقدرته الفنية، كما أنها ربطت أيضا بينه وبين الغرض الذي يتضمنه النص الأدبي. وقد يتساوى مفهوم الكلمة مع مفهوم النظم[3] الذي يمثل الخواص التعبيرية في الكلام، لكن ذلك كله لم يقدم نظرية متكاملة يمكن اعتبارها بحثا أسلوبيا عربيا في المجال التنظيري أو التطبيقي. أما كلمة (الأسلوبية) فقد ظهرت خلال القرن التاسع عشر عند الغربيين، لكنها لم تصل إلى معنى محدد إلا في أوائل القرن العشرين، وكان هذا التحديد مرتبطا بشكل وثيق بأبحاث علم اللغة، فحين ظهرت بوادر النهضة اللغوية في الغرب فيما يسمى بالفيلولوجيا، أكدت الصلة بين المباحث اللغوية والأدب، لأنها لم تنظر إلى الدراسة اللغوية باعتبارها هدفا مقصودا لذاته، بل باعتبارها انفتاحا ثقافيا وفكريا جديدا. ومن هنا كان هناك نوع من الاهتمام بدراسة النصوص القديمة وخاصة في جوانبها اللغوية. وظل الأمر كذلك إلى أن وضع "دي سوسير" أسس علم اللغة الحديث، وهي أسس يمكن تلخيصها في عدة نقاط منها:

1-العلاقة بين اللغة والحديث، أو بين عناصر الوراثة في اللغة (Langue) والاستخدام الخاص الذي يزاوله الناس في الحديث (Parole).

2-تحليل الرموز اللغوية، وذلك باعتبار أن المسميات اللغوية ليست سوى مفاهيم ترتبط بذهن من ينطقها، أو على أساس أنها محرك يثير معنى ما.

3-دراسة التركيب العام للنظام اللغوي، إذ لا علاقة بين صوت الكلمة، ومفهومها الذي لا يتحدد إلا في ذهن الإنسان.

4-التفرقة بين مناهج الدراسة الوصفية ومناهجها التاريخية.

---

1 محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 171.

2 م ن، ص ن.

3 م ن، ص 172.

والأسلوبية تعدّ علما "يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها أيضا علم يدرس الخطاب موزعا على مبدأ هوية الأجناس، ولذا كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات"[1]. وهذا ما أدى إلى نشأة اتجاهين في علم الأسلوب:

الأول: يتمثل في علم أسلوب التعبير؛ ويدرس العلاقة بين الصيغ والفكر في عمومه، ولا يخرج عن نطاق اللغة، كما يعتدّ بالأبنية اللغوية، ووظائفها داخل النظام اللغوي[2].

الثاني: وهو ما يعرف بعلم الأسلوب الفردي؛ وهو نقد للأسلوب بدراسة علاقة التعبير بالفرد أو بالجماعة التي تبدعه أو تستخدمه، كما يحدد الأبنية اللغوية وأسبابها، ويعنى بالنقائص، ويرتبط بالنقد الأدبي[3].

3- علم الأسلوب واتجاهاته: أخذت كلمة (الأسلوبية) مفهومين مختلفين هما:

الأول: دراسة الصلة بين الشكل والفكرة، وخاصة في ميدان الخطابة عند القدماء. وتمتاز بالخصائص الآتية[4]:

أ/ دراسة علاقات الشكل مع التفكير عموما، وهي تتناسب مع تعبير القدماء.

ب/ لا تحرج عن إطار اللغة أو الحدث اللساني.

ج/ النظر إلى البُنى ووظائفها داخل النظام اللغوي نظرة وصفية.

د/ ترتبط بعلم الدلالة ودراسة المعاني.

الثاني: الطريقة الفردية في الأسلوب، أو دراسة النقد الأسلوبي، وهي تتمثل في بحث الصلات التي تربط بين التعبيرات الفردية أو الجماعية. وتمتاز بالخصائص الآتية[5]:

أ/ هي طريقة نقد للأسلوب، ودراسة لعلاقات التعبير مع الفرد أو المجتمع الذي أنشأها واستعملها.

ب/ هي دراسة وصفية تكوينية، وليست معيارية أو تقريرية فقط.

ج/ هي دراسة للحدث اللساني نفسه إزاء المتكلمين.

د/ هي دراسة تهدف إلى تحديد الأسباب، ولذا تنسب إلى النقد الأدبي.

---

1 منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 2002، ص 27.

2 صلاح فضل، علم الأسلوب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1985، ص 12.

3 م ن، ص ن.

4 ينظر: منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 42.

5 ينظر: م ن، ص 43.

وتجدر الإشارة إلى أن التناول الأسلوبي إنما ينصب على اللغة الأدبية، لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء، بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انحراف عن المستوى العادي المألوف، بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية التي يتبادلها الأفراد بشكل دائم وغير متميز، لهذا فإن الدرس الأسلوبي "يأخذ طابع النقد، ويهتم بلغة الخطاب الأدبي، وهذا ما يفسر دراسة أصحاب هذا الاتجاه للغة المؤلفات الأدبية"[1]. وعليه يمكن القول إن علم اللغة يدرس ما يقال، في حين أن الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد.

وتركز الأسلوبية على كشف العلاقة بين الدال والمدلول، وتقود بالضرورة إلى عمليات التوصيل بعناصرها الثلاثية (المرسل، والمرسل إليه، والرسالة)، كما تقود أيضا إلى محاولة تبين حقيقة الرسالة في النص الأدبي دون الاقتراب من أيّ خلفيات مسبقة تتصل بأمور غير أدبية، لأن الأسلوبية بهذا الشكل الذي صارت إليه ليست على استعداد لتقبّل هذه الأمور. ويقدّم العمل الأدبي للدراسة الأسلوبية المواد التي تحتاجها لتحقيق أهدافها، وهي مواد غاية في السهولة، لأن سبيل الحصول عليها مرتبط بنص محدد، ومرتبط بمبدع له إرادة واعية، وطريقة أدائه هي التي تخلق له القوانين العامة التي تتحكم في اختيار عبارته وتنظيمها، وتعطيها طبيعتها الاستمرارية. وعلى العموم يمكن حصر اتجاهات علم الأسلوب في ثلاثة مستويات هي:

1-المستوى الأول: يتشابك فيه علم الأسلوب مع اللغة أو ما أطلق عليه علم الأسلوب العام الذي لا يرتبط بلغة معينة، وإنما يتناول المنطلقات الأساسية التي لا ترتبط بأي ناحية تطبيقية.

2-المستوى الثاني: يظهر فيه الاهتمام بالناحية التطبيقية من خلال الابتعاد عن التعميمات المطلقة إلى تحديد المجال بلغة معينة، للخروج منها بالتنويعات الأسلوبية التي لا تعتمد على الناحية الفردية، بل تستمد وجودها من القيم التعبيرية في اللغة ونظامها العام، ومستويات الأداء في هذه اللغة مع ربطه بالمجال الذي ارتبط به الأداء، مثل دراسة لغة الخطاب، واللغة الإعلامية، واللغة القضائية، وغير ذلك من المجالات الاجتماعية.

3-المستوى الثالث: وفيه تضيق حلقة البحث الأسلوبي لتتبع إنتاج فرد واحد، بإخضاع لغته لأنواع من التحليلات التي تقدم معايير موضوعية، تعين الباحث في مجال التفسير. وهذا هو الاتجاه الغالب والسائد في علم الأسلوب.

4- بين البلاغة والأسلوبية: قامت البلاغة العربية القديمة على جدلية ثنائية بين الشكل والمضمون، وهذه الثنائية فرعت مباحثها إلى اتجاهات؛ منها "ما يهتم بالشكل أو البناء اللفظي وما يتصل به من تناول للفظة المفردة، ومنها ما يتصل به من بناء يتناول الجملة، أو ما هو في حكم الجملة. ومنها ما يهتم بصلة اللفظ بمعناه، وما يترتب عن ذلك من خروج هذا المعنى عن حدوده التي وضعت له، أو بمعنى آخر انحراف المعنى عن اللفظ، ثم يمتد هذا الاهتمام ليتناول معنى الجملة وصلتها بما قبلها وبما بعدها كما في مباحث الفصل والوصل"[2]. وقد قامت هذه المباحث على أساس وصفي من خلال دراسة النماذج الأدبية الراقية للشعراء والناثرين، وقد سبقها النموذج القرآني بوصفه المثل الأعلى في الأداء الفني الذي يبلغ مرتبة

1 م ن، ص ن.

2 محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 258.

الإعجاز، وكان رصد أوجه الحسن في الأداء الفني بكل ألوانه المعروفة هو بداية الدرس البلاغي والنقدي القديم. مع العلم أن هذا المنهج الوصفي لم يستمر طويلا إذ انقلب إلى معيارية خالصة.

وقد أتاح هذا القصور للأسلوبية الحديثة أن تكون وريثة شرعية للبلاغة القديمة[1]، لأنها وقفت في دراستها عند حدود التعبير ووضع مسمياتها وتصنيفها. وتجمدت عند هذه الخطوة، ولم تحاول الوصول إلى بحث العمل الأدبي الكامل، كما لم يتسن لها بالضرورة دراسة الهيكل البنائي لهذا العمل، وعُدّ هذا بمثابة تمهيد لحلول الأسلوبية في مجال الإبداع كبديل يحاول تجاوز الدراسة الجزئية القديمة، وإقامة بناء علمي يبتعد عن الشكلية البلاغية التي أرهقتها مصطلحات البلاغيين بتفريعات كادت تغطي على كل قيمها الجمالية. وقد اتجه البلاغيون إلى الاختيار من النماذج المطروحة أمامهم، ليؤيدوا بها ما استنبطوه من قواعد، ولم يكن لهم في هذا المجال استقراء دقيق، بل ربما وصل بهم الأمر إلى افتراض وجود نموذج لقاعدتهم في نص من النصوص، إذا أعوزهم الوجود الحقيقي له، أو ربما حاولوا صناعة نص يحمل الخاصية التي يريدون الاستشهاد بها على قاعدتهم. وهذا كله جعلهم يحمّلون فنون القول ما لا تحتمل من صورهم البلاغية، فأصبحت البلاغة تصدر عن مجموعة من القواعد التي تساند الأحكام البلاغية والنقدية التي كانت تعتمد كثيرا على العرف والتقاليد السائدة في النماذج السابقة، أو التي تخيّل البلاغيون وجودها فيها"[2].

غير أن قراءة متأنية في الدراسات البلاغية التي استمدت عطاءها من النحو الإبداعي، تُظهر جانبا خفيا في علاقة البلاغة بالأسلوبية، فكتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني يعدّ بداية نحو نظرية لغوية في فهم النص الأدبي، ينتهي بها الأمر إلى نوع من التركيز حول دراسة الأسلوب في ذاته من خلال مفهوم النظم، وهو مفهوم اعتمد على التركيب اللغوي الذي يتصل باللفظ المنطوق والكلام النفسي[3]. وقد مثلت البلاغة في كثير من جوانبها العلاقة بين الأسلوب والمعنى، وصلة هذا الأسلوب بما تتعرض له الجملة وهو الذي يدخل تحت ما يسمى علم المعاني الذي يختص بتتبع سمات تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، احترازا عن الخطأ في مطابقة الكلام لمقتضى الحال. والبلاغيون عندما يتناولون الكلام في التراكيب إنما يقصدون ما نتج منها عن وعي وإدراك، وذلك لا يكون إلا ممن أوتي مقدرة بلاغية معينة، لأن ما ينتج من صياغة في المستوى الإخباري إنما يتم في صورة عفوية بحيث يأتي مع ما يتفق، وخاصية التركيب منظور إليها من جانبين اثنين: المبدع باعتباره مصدر هذه الخواص التركيبية، ثم المتلقي من خلال قيامه بعملية الفهم والمعرفة، وبين هذه الطرفين تأتي الرسالة بشقيها الإبداعي والإخباري، وهذا ما أدركه "السكاكي"، فالكلام على هذا يدور بين احتمالات ثلاثة هي: خلو الذهن عن الحكم، أو التردد في قبوله، أو إنكاره كلية، والصياغة تأخذ خواصها التركيبية في كل حالة باستخدام الأدوات اللغوية التي تقدم الكلام خاليا من التوكيد، أو مؤكدا مراعاة لمقتضى الحال. ويختص المستوى الإبداعي بتجاوزه مجرد الإخبار إلى أهداف جمالية، تتأتى بالتغيير في الصياغة والتركيب بترك المسند إليه أو ذكره، وبتعريفه أو تنكيره، وبتقديمه أو تأخيره، ففي مثل هذه الصياغة تأتي الإفادة اللطيفة. وهذا عين البحث الأسلوبي وجزئيات درس الأسلوبية.

---

1 م ن، ص 259.

2 محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 260.

3 م ن، ص 262.

خاتمة:

وفي ختام هذا العرض المبسّط، والشرح الموسّع، والتمثيل المكثّف، لأهم المباحث البلاغية المقررة، في واحد من أكثر وأهم علوم اللغة العربية، نستطيع تقديم جملة من النتائج والتوجهات لصالح الدراسين والطلبة لعلوم البلاغة العربية:

<u>فأما أهم النتائج التي تتعلق بسلسلة محاضرات البلاغة العربية فهي:</u>

- ❖ إنّ دراسة البلاغة العربية وسبر أغوار مباحثها لا يكون بمعزل عن بقية علوم اللغة العربية التي تتقاطع معها، وعلى رأسها علم النحو، وعلم الصرف، وعلم الدلالة، وعلم المعاجم.
- ❖ إنّ التمكّن من ناصية البلاغة العربية ومن علومها بالنسبة للدارسين والطلبة لا يقف عند حدود معرفة التنظير، بل لا بدّ من التركيز على الجانب التطبيقي لها، من أجل ترسيخ المعلومة في الأذهان.
- ❖ إنّ التعمّق في دراسة البلاغة العربية يستوجب من الدارسين والطلبة العودة إلى مضان المواطن البلاغية للوقوف على الجانب الفني والجمالي، ومن أبرز هذه المضان: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب منظومه ومنثوره.
- ❖ إنّ التمكّن من فنون البلاغة يتطلب من الدارسين والطلبة الاهتمام بالتكثيف البلاغي الموجود على مستوى المثال الواحد؛ مثل وجود صورة بيانية أو أكثر ومعها محسن بديعي أو أكثر في المثال الواحد، وهذا ما يعين على ترسيخ المعلومة في الذهن.

<u>وأما أهم التوجيهات التي يمكن إدراجها في هذا المقام، وتخص الطلبة بدرجة كبير، فهي:</u>

- ✓ ضرورة العمل المستمر في الإكثار من التطبيقات التي من شأنها أن ترسخ المعلومة في الذهن، ودون الاكتفاء بأمثلة الدرس.
- ✓ البحث المتواصل في الأمثلة المكثفة عن الفنون البلاغية، لأن هذا الأمر يعين على سرعة الملاحظة عند البحث عنها.
- ✓ التكوين المتواصل في علوم اللغة، وبخاصة علمي النحو والصرف، لعلاقتهما الوطيدة بعلم البلاغة العربية.
- ✓ العمل ضمن مجموعات مراجعة إذا اقتضى الأمر، لكشف المواطن البلاغية، من خلال أمثلة متنوعة، لأن العمل الجماعي يساعد على كشف هذه المواطن البلاغية.

- ✓ الاعتماد على منهج إجابة موحد في شرح الصورة البيانية أو المحسن البديعي، لأن ذلك المنهج من شأنه ألّا يشتت تركيز الطالب، ويجعله يقف عند كل الجزئيات والمعطيات البلاغية.
- ✓ الإكثار من مطالعة الكتب الأدبية والنقدية لمعرفة كيفيات استعمال وتوظيف البيان أو البديع، وبخاصة في النقد، بالإضافة إلى تنمية الملكة اللغوية والبلاغية حين توظيف البيان والبديع أثناء الكلام أو أثناء التحرير.

قائمة المصادروالمراجع

- القرآن الكريم.

أولا: مصادرالحديث النبوي الشريف:

1- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

2- الإمام البخاري، صحيح البخاري، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

ثانيا: المراجع العربية:

3- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط02، 1981.

4- أبو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: على البجاوي ومحمد إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1952.

5- أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

6- أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998.

7- ابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

8- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، العراق،1967.

9- ابن جني، الخصائص، تح: محمد النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (د.ت).

10- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000.

11- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط02، 1992.

12- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المكتبة المصرية، مصر، ط1، 1999.

13- صلاح فضل، علم الأسلوب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1985.

14- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).

15- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، 2003.

16- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة العالمية المصرية للنشر، مصر، ط1، 1994.

17- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012.

18- معين دقيق العاملي، دروس في البلاغة، دار جواد الأئمة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

19- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 2002.

20- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار الميسرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007.

ثالثا: المراجع المترجمة إلى العربية:

21- أرسطوطاليس، كتاب الخطابة، ترجمة إبراهيم سلامة، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط02، 1953.

22- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، ط01، 1994.

رابعا: المعاجم والقواميس:

23- ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب وآخر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999.

خامسا: المجلات والدوريات:

24- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي-عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر2001، عدد01، مجلد30.

25- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم (سورة النحل نموذجا)، مجلة اللغة والآداب، جامعة الجزائر، ديسمبر1997، عدد 12.

26- محمد العبد، النص الحجاجي العربي-دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، عدد60.

فهرس المحتويات	
عنوان المحتوى	الصفحة
مقدمة	أ / ب
المحاضرة الأولى: قضايا البيان والدلالة في البلاغة العربية	
1- مفهوم علم البيان	4
2- مفهوم علم الدلالة	5
3- بين علم البيان وعلم الدلالة	7
المحاضرة الثانية: التشبيه: أنواعه و أقسامه في البلاغة العربية	
1- تعريف التشبيه	8
2- أركان التشبيه	8
3- أنواع التشبيه	9
المحاضرة الثالثة: قضايا المجاز في البلاغة العربية: المجاز العقلي والمرسل	
1- الحقيقة والمجاز	17
2- المجاز العقلي	18
3- أنواع العلاقة في المجاز العقلي	19
4- المجاز المرسل	20
5- أنواع العلاقة في المجاز المرسل	20
المحاضرة الرابعة: الاستعارة في البلاغة العربية	
1- تعريف الاستعارة	26
2- أنواع الاستعارة باعتبار حذف أحد الطرفين	26
3- بقية أنواع الاستعارة	27
المحاضرة الخامسة: الكناية والتعريض في البلاغة العربية	
1- تعريف الكناية	30
2- أركان الكناية	31
3- الفرق بين الكناية والمجاز	31
4- أنواع الكناية	31
5- التعريض	33
المحاضرة السادسة: أثر علم البيان في تأدية المعنى	
1- تمهيد	35

2- بلاغة التشبيه	36
3- بلاغة المجاز العقلي والمرسل	37
4- بلاغة الاستعارة	38
5- بلاغة الكناية	39
المحاضرة السابعة: المحسنات اللفظية في البلاغة العربية	
1- تعريف علم البديع	40
2- أبواب علم البديع	40
3- أشهر المحسنات اللفظية:	41
3-1. الجناس	41
3-2. الاقتباس	43
3-3. التضمين	43
3-4. السجع	44
3-5. التصريع	45
المحاضرة الثامنة: المحسنات المعنوية في البلاغة العربية	
1- أشهر المحسنات المعنوية:	46
1-1. الطباق	46
1-2. المقابلة	47
1-3. التورية	48
1-4. حسن التعليل	49
1-5. الإرصاد	50
المحاضرة التاسعة: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول	
1- تمهيد	51
2- التخييل والتداول في مسار البلاغة العربية	52
3- التوجّه الحجاجي المنطقي:	53
أولا: تطور الحجاج عند العرب	54
ثانيا: تطور الحجاج عند الغرب	55
ثالثا: تعريف الحجاج	55
المحاضرة العاشرة: البلاغة والأسلوبية	
1- تمهيد	57

2- الأسلوبية	58
3- علم الأسلوب و اتجاهاته	59
4- بين البلاغة والأسلوبية	60
خاتمة	62
قائمة المصادروالمراجع	64
فهرس المحتويات	66